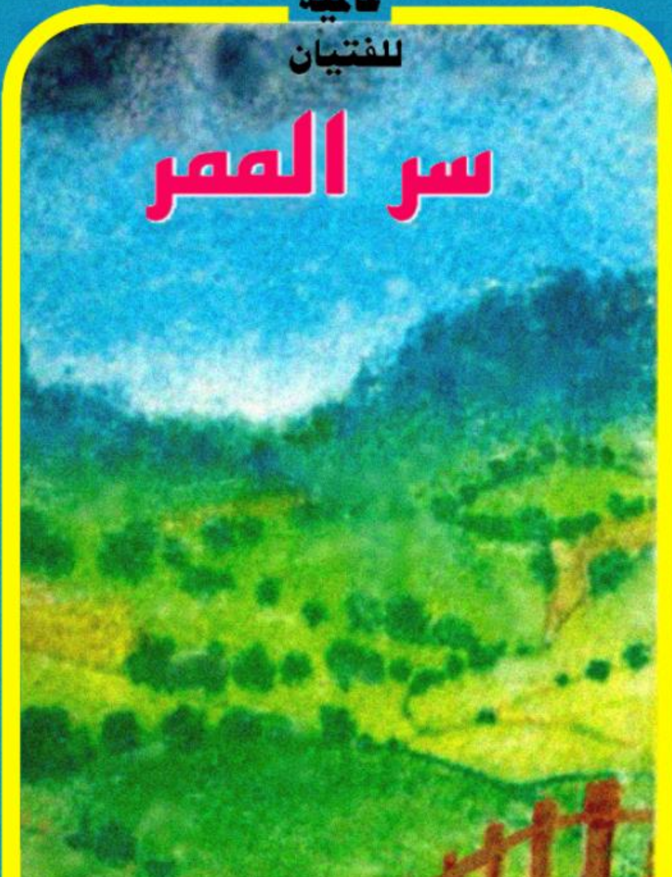
روايات
عالمية
للفتيان

سر الممر



ترجمة ايمان عادل

فريق التوثيق الألكتروني

سر الممر

ترجمة ايمان عادل

الأرشفة الألكترونية : أسعد علوان

سر الممر

تاليف : مالكولم سفيل

ترجمة : ايهان عادل

الطبعة العربية الاولى ١٩٩٠

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام دار ثقافة الاطفال

العراق ـ بغداد ـ مكتب بريد ٨ شباط ص . ب ٨٠٤١

روايات عالمية للفتيان

تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال

المدير العام : فاروق سلوم

سكرتير التحرير: فاروق يوسف

سر القمر



الفصل الاول

« الرجل ذو الندبة »

كان الوقت يقارب الظهيرة ، عندما استدار الباص القادم مــن (لودلو) حول منعطف الشارع الرئيس لقريــة (برنك وودجيس) وشمس آب تتوهج في سماء زرقاء صافية ، وتحت حوامل الجسر الحجري القديم كانت مياه نهــر التايمز تنساب بطيئة متكاسلة . توقف الباص تحت أشجار الدردار عند الجسر . ترجل ثلاثة ركاب ، اثنتان منهم كانتا من نساء البلدة وقد عادتــا بعــد جولة تبضع قامتــا بها في (لودلو) ثــم قطعتا الشارع معــا ، أما الراكب الثالث فكان رجلا طويلا . نحيلا ، محني الاكتاف ، ذا هندام غير ملائم بتاتا ليوم حــار مثل هذا ، فقد كان يرتدي بدلة صوف رمادية وقبعة متلائمة معها . وهو ذو وجه مغضن ، أسمر ضارب الى الصفرة . ويضع نظارات ذات اطار فولاذي ، ترجل الرجل من الباص بتأن . نظر حوله بفضول ، وقبل أن يسير فوق الجسر أنزل من يده حقيبة سفر ثقيلة مــن

قماش القنب ، اتكأ على متراس الجسر ودفع قبعته خلف رأسه ، فظهر من تحتها شعره الابيض الكثيف ، وبعد حين رفع حقيبته الثقيلة وأزاح قبعته الى الامام ومشى ببطء نحـو الجانب المشمس من الشارع •

يمكن وصف قرية (برنك وود) بكونها تقع على مشارف (هيرفورد) و (ثروب شاير) وهـي قائمـة ها هنا منـذ أمد بعيد ، يخترقها شارع مستقيم يمتد شمالا على طول النهر ، وقد شيد هذا الشارع فـوق أسس أقامها الرومان لاستخدامها مـن قبل فيالقهم ، وكانت الكنيسة والخان ذو الحيطان البيض ومكتب البريد الصغير وبعض المحلات كلها مطلـة على هـذا الشارع ، بـدا الرجل الغريب مهتمـا بهـذه المباني جميعا وهو يمعن النظر عبر نوافذ كل محل مـن دون أن يتكلم مع أحد ولما وصل الى الخان المسمى « نجمة المساء » قرأ بتمعن قائمة الطعام المعلقة على الباب ، الا أن ما كانت تحتويه مـن مأكولات لـم ترقد لـه ، فأستمر بالسير الى أن وصل الى منعطف يقع الى اليمين ويؤدي الى شارع ضيق ، كانت منازله أكبر قليلا من

الاكواخ ومعظمها بالية ، والحانوت الوحيد كان لبائع خضروات ثم لمح الرجل ذو البدلة البنية لافتة خان آخر عند النهاية البعيدة للشارع . على الجانب الايسر منه ، عندما اقترب منه وتفحصه ، قرأ ما قد كتب عليه (خان الجرسين) ، كان باب الخان المفتوح متقشط الطلاء ودرجات سلمه الحجري قذرة .

أحد ما في الداخل كان يستمع الى اسطوانة شعبية ، أمعن الغريب النظر ثانية في العنوان المخطوط على باب الخان ، وتقدم عبر الممر وهو يشعر ببرودة بدأت تسري في أوصاله على الرغم من أنه كان قبل قليل يمشي تحت أشعة الشمس الحامية في الخارج . سمع لحنا موسيقيا ينبعث من مكان ما في الطابق العلوي ، لكنه لم يسمع أي صوت يرحب به في ذلك الخان الذي كان قذرا ومهملا . مع ذلك فقد بدا المكان للغريب أكثر ملاءمة من خان (نجمة المساء) . الا أنه وبسبب من عتمة المكان لم يكن من السهل عليه رؤية ما اذا كان هناك احد ما . حتى المشرب كان خاليا ، لذا ألقى بحقيبته الثقيلة الى الارض ومشى نحو الطاولة الكبيرة،

وضغط على الجرس الذي كان موضوعا عليها : فتح باب خلفي أطل منه رجل تقدم نحوه ، كان الرجل ممتلىء الجسم شاحب الوجه ، أصلع الرأس وقد أهمل العناية بهندامه ، اذ كان يرتدي قميصا مـن غير ياقة أو ربطة عنق ، ركز بصره على الغريب وطرفت عينه من دون أن ينبس ببنت شـفة . بادره الغريب قائلا : صباح الخير (قالها بصوت خشن وبخنة غير عادية) هل أنت المدير هنا ؟ وهل أن أسمك هو بلاندش ؟

أومأ الرجل السمين بالايجاب.كيف تعرف أسمي؟

أجاب الغريب ، انـه مكتوب علـى الباب ... انني أريد استئجار غرفة مـدة ليال عدة . ليس هنالك غرفة للايجار هنا ، يا سيدي . كما أن ليس هناك مـن أحد يرغب بالبقاء هنـا ونحـن سنحزم حقائبنا قريبا ، إذ أن هذا المكان غير صالح للعمل . انه كاسد وأنـا آسف يا سيدي . لماذا لا تحاول في خان (نجمة المساء)؟

أجاب الغريب ، ما كنت أجيء الى هنا لو انني كنت أريد البيت في ذلك الخان . أن خانك يروق لي

لأنه هاديء ولن أكون عبئاً عليك ، كما أنني سأدفـع لك مبلغا يرضيك .

خطا (سيمون بلاندش) مقتربا من الطاولةالكبيرة ثـم أضاء المصباح الذي في أعلى البار وراح يتفحص الرجل ذا البدلة البنيـة .

ثم خاطبه قائلا ، أنت غريب هنا ، اليس كذلك ؟ هل تعرف هذا المكان ؟ انه راكد منـذ سنوات عدة .

فأجابه الغريب : أخبرني ياسيد بلاندش هل ترغب بالحصول على نقودي أم أنك لا ترغب في ذلك . فأنـا أريد أستئجار غرفة هنا مـع وجبتي طعام يومي لانني أقوم بجولة سياحية في القرية الواقعة حول هذه الانحاء فهـي تروق لـي ومن المحتمل أن أقوم بأصطياد بعض السمك .

فسأله بلاندش : ما هو أسمك ياسيدي ؟ ومـن أيـن أنت قـادم !

اجاب الغريب : أسمي وليم جونسن وأنـا مـن الجنوب القصي . دعنـا الان ننهي اجراءات اقامتي

هنـــا ، ما رأيك بالحصول على أجر اقامة أسبوع مقدما وبالنقد ياسيد بلاندش ؟ وأخرج محفظة النقود مـــن جيبه ووضعها على الطاولة ثم سحب منها بعض النقود الورقية ، فأتسعت حدقتا بلاندش دهشة ، ومن ثـــم أمسك جونسن بالاوراق النقدية ما بين أصابعه الغليظة ورفعها بأتجاه الضوء عندئذ لمح بلاندش على ظهر يده ندبـــة بيضاء كبيرة تمتد مـــن مفصل أصبعه الاوسط حتى رسغه • على أثـــر ذلك قـــال بلاندش للغريب : أنتظر هنا ياسيد جونسن فأنني أريد أن أتحدث مـــع زوجتي في هذا الموضوع ، وقبل أن يخرج من الغرفة كانت الأوراق النقدية قـــد أستقرت في جيبه •

أتجـــه جونسن نحو النافذة وألقى نظرة علـــى الشارع المضاء بأشعة الشمس وقـــد بدأ راضيا لانـــه بأنتظار شيء كان يرغب في الحصول عليه بشدة ، ولكن ما السبب الذي يدعوه لان يقيم في ذلك الخان القذر من الدرجة الثانية ، في الوقت الذي كان بحوزته محفظة نقود متخمة بالاوراق النقدية . من المؤكد أن هنالك شيئا ما غير عادي يكتنف تصرفه هـــذا •

كان ما يزال ينظر بشرود عبر النافذة المتربة عندما دخل (بلاندش) ومعه أمرأة ، فبادر قائلا : هذه زوجتي وهي التي تتولى أمور تأجير غرف الخان وما شابه ذلك ، لذا فمن الأفضل أن تخبرها عـن المدة التي ترغب في أن تقضيهـا هنـا .

كانت السيدة بلاندش أمرأة جذابة على الرغم من عدم أعتنائها بهندامها ، وحالما تكلمت خمـن الغريب بأن ما من قرار يتخذ في خان الجرسين من دون علمها أو موافقتها . وبعد أن أمعنت النظر في الغريب حوالي نصف دقيقة ، رحبت به قائلة : صباح الخير يا سيدي، لقـد أخبرني زوجي بأنك ترغب في أن تستأجر غرفـة عندنا مـع وجبتي طعام يوميا .

ـ : هذا صحيح ، وأود الآن أن أشاهد غرفتي ، ولكن أخبريني أولا عـن المبلغ الذي ينبغي علي أن أدفعه وبأمكانك أن تحصلي عليـه الآن ـ أسبوع مقدما إذ كانت هـذه رغبتك .

ـ : نحن لا نؤجر غرفا هنا ، يــا سيدي ، فنحن نوشك أن نغلق الخان في الاسبوع القادم . لأن هذه القرية شبه ميتة ... ما هو أسمك ياسيدي؟ ومن أين أنت قادم ؟ لقد بدأت أرثي لحالك . وأظــن أنــه بأمكاننا أن ندعك تبيت هنا ليلــة أو ليلتين ، هل أنت حقا قادم مــن أقصى الجنوب كما أخبرني زوجي ؟

للمــرة الاولى منذ ترجله من الباص قبل أكثر مــن نصف ساعة مضت ، ظهر على وجه الغريب تعبير مــا ، فقد بــدا منزعجا لسؤالها ، وقد أنعكس ذلك على نبرات صوته وهو يكلمها قائلا : ليس مهما لك أن تعرفي من أين أنا قادم ، فأنا أرغب بالبقاء هنا لانني أميل الــى الهدوء بعيدا عن الضجة والتطفل ، وأنــا مستعد لأن أدفــع لك أجراً أعلى مــن المعتاد . لكن هناك أمــراً واحداً لا يمكنني تحمله وعليك أن تفعلي شيئاً بصدده وهــو أنني لن أتمكن مــن الارتياح في الطابق العلوي مــع وجــود تلك الاصوات المرتفعة هنــاك .

فومضت عينـا المرأة ، لكنها مدت يدها لتأخذ النقود الاضافية التي قدمها لهـا قبل أن تقـول : آن لولدي هوايته كما هي حال أي شخص آخر . ونحن لنا الحق في أن نسأل عن جهة قدومك فأنت غريب عن هـذه المنطقة ، واذا كنت سأوافق على بقائك ...

وقبل أن تتم كلامها سمعوا صوت توقف شاحنة في الخارج ، ترجل منها ثلاثة عمال دلفوا لفورهم الى الخـان .

عمتم صباحاً جميعا ، قالها صـغير الحجم أسمر اللون يرتدي قلنسوة مستديرة حين كان متجها نحـو المشرب فجلس وطلب مشروبا .

نظـر السيد جونسن الى الرجال الثلاثة بعـدم ارتياح ومـن ثم تطلع الى خارج النافذة لكي يرى ما كان مكتوبا على الشاحنة فقرأ (ساندرز وولده ــ لهدم المنازل والمقاولات) .

ثـم قال الرجل الصغير محدثا بلاندش . أيـن يقع منزل (برتك وود مانور) ؟ نحن قادمون من طريق

(ودلفرها مبتون) وفي طريقنا الــى هناك لهدمه ، اذ أن هنالك منازل جديدة من المقرر بناؤها على أرض المانور بعــد هدمه .

عقب بلاندش على كلامه بالقول : لقد علمت بأن المانور قــد تم بيعه ولكنه بعيد جداً عن القرية ولست أدري كيف يمكن لشخص مدرك أن يرغب بالعيش في بيت يقــع عند الممــر .

وقبل أن يتمكن أحد من الاجابة ، تقدم جونسن بسرعة وواجه الرجل الصغير الحجم متسائلا ، ما الذي قلتــه قبل قليل ؟ لماذا أنتم مقبلون على هدم المانور ؟ ومتى ستبدأون ؟

في أثناء ذلك نظر الآخرون اليه كما لو أنــه قد فقــد عقله ، ثــم قالت السيدة بلاندش : ماذا تعرف أنــت عــن المانور ياسيدي ؟ لقــد قلت بأنك غريب عن هذا المكان .

فأجابها : هذا صحيح ياسيدتي ، لكنني أحزن لدى سماع أخبار عــن هدم المنازل القديمة الرائعة ،

فأنا مهتم بالأماكن القديمة وأود أن أشاهد هذا المانور في منطقتكم ••• متى ستبدأون أعمال الهدم فيه ؟ قال يسأل الرجل النحيف الأسمر •

فأجاب : بأسرع ما يمكننا ونحن ذاهبون الآن لألقاء نظرة على المكان لأقامة مخيمنا ، وسوف نبـدأ العمل في غضون يوم أو يومين • ثم توجه بسؤاله إلى بلاندش كيف لنـا أن نصل الى هناك يا صاحبي ؟ وكم تبعـد المسافة عن هنا ؟

أجاب بلاندش : زهاء ميلين ، حيث ينتصب المانور القديم في أعلى الممر وعليك أن تستدير يميناً لتصل الى نهاية هـذا الشارع •

فحياه ومن معه مودعا ثم تبعه الرجلان الآخران، وحالما غادروا الخان ، جلس جونسن بتثاقل على أقرب كرسي وراح يمرر أصابعه في شعره الأشيب وقد بـدا عليه التعب ، فنظرت السيدة بلاندش اليه ورأت الندبة البيضاء الطويلة على ظاهر يـده ، ولما تركها زوجهـا ذاهبا الى المشرب بادرت جونسن قائلة : حسنا جـدا

يـا سيد جونسن اذا كان بأمكانك التكيف مع هـذا المكان ، على الرغم من عدم ملاءمته وأن تأخذ الامور على الحال التي هـي عليه ، وأن لا تعترض على لهو والدنا بالموسيقى عنـد ذاك يمكنك أن تمكث هنـا مـدة اسبوع .

نظر جونسن اليها وأومأ برأسه قائلا : أن هـذا لمنصف بالتأكيد . وعليه فأن بأمكاننا أن نتعايش بطريقة حسنة جدا ، اذا ما تركتماني بسلام ، كما أنني لا أحب أن توجها لي الكثير مـن الاسئله ، والآن هل أستطيع أن أرى غرفتي ؟ كان بلاندش قد عاد من المشرب قبل برهة من الوقت وأراد أن يتفوه بكلام ما ، لكن زوجته أثنته عن عزمه بنظره خاطفة ، وأجابت هي عن سؤال جونسن قائلة : ـ

طبعا يمكنك أن تراها ياسيدي ، وفي هذه الاثناء فانني سأجهز لك الطعام ، كما أنه ليسرنا أن نرشدك إلى كيف يمكنك أن تستدل على طريقك في هذه المنطقة لأنك غريب عنها . هل كان هنالك شيء خاص أردت

معرفته عن المانور ؟ فقد بدا عليك الانزعاج لسماعك بأنـه سيهـدم قريبـاً .

ـ أنـا لم أكن منزعجا البتة يا سيدة بلانش ، أن هذا محض هراء ، كل ما في الامر أنني مهتم جدا بالمنـازل الكبيرة القديمة ، وهو أمـر يتعلـق بالاعمال التجارية التي أزاولها ، فعند تجوالي في بلدة ما ويصل الى علمي بأن أحـد تلك المنازل القديمة معروض للبيع فأن بأمكاني ايجاد مشتر لـه ، وعليك يا سيدة بلاندش أن تتذكري بأنني لا أحب الاسئلة ، على أية حال ، فأن بأمكانك أن تخبريني بعض ما تعرفيه عن هـذا المانور ، ترى منـذ متى تـم بيعه ؟ ولمن كانت عائديته ؟

أشارت السيدة بلاندش لزوجها طالبة منـه أن يجيب على أسئلته ، فلبى طلبها على الفور قائلا :

لقـد تم بناؤه منـذ مائة سنة أو يزيد تقريبا وقد بنـي مـن حجارة حمراء ، ويعلوه في أحـدى نهاياته برج وهو مترامي الاطراف ، ربما يشتمل على عشرين غرفة نوم ومطابخ كبيرة ومـا شابه

ذلك ، فضلا عــن حدائق رائعة مقامة في أعالي المنحدر الصخري فوق الممــر ، وقد أستخدمه الجيش أثناء الحرب العالمية الثانية ، لذلك عندما عادت اليــه السيدة (وايت فلاور) مع ولدها فأنهما لم يجداه على سابق عهــده .

فقاطعه جونسن متسائلا : لماذا لم يعد كما كان ، ومن باعه الآن ؟ أهي السيدة وايت فلاور ؟ ومن تكون هــذه السيدة ؟

فوافاه بلاندش بالاجابة : لقــد توفيت السيدة وايت فلاور منذ بضعة أشهر وكان زوجها جنرالا قتل في الحرب ... وولدها الوحيد في الثانية عشرة مــن عمره تقريبا وهناك عمة له تقوم برعايته الآن ، على أية حال فأن المنزل قد تم بيعه من دون شك فأن العمــة وأبن أخيها سينتفعان كثيرا بمبلغ البيع على الرغم من انه لن يبقى لديهما فلس واحد ليصرفاه على معيشتهما بسبب وطأة ديونهما الجسيمة .

واصل جونسن أسئلته قائلا : وذلك الصبي ، هل هو آخر من بقي مــن أفراد عائلة وايــت فلاور ؟

أجابه : هكذا يقول الناس ، وعمته تقوم بالعناية بــه الآن في (شورب شاير) .

ــ ومــاذا عــن المنــزل ؟

وهنــا تدخلت السيدة بلاندش مقترحة : مــن الافضل لك أن تذهب أنت نفسك وتلقي عليــه نظرة فهو خال منذ مدة من الزمن ، والآن ، اذا كنت مستعدا فأنني سأدلك على غرفتك . ثــم تقدمته فتبعها الى الطابق العلوي ، وحالما أصبح بلاندش وحده ، جلس على الكرسي الذي كان يجلس عليه جونسن وأخرج الاوراق المالية مــن جيبه وقام بتفحصها بعناية ، كان ما يزال يحملق فيها ، عندما عادت زوجته وأغلقت الباب خلفها .

حسنا قالها بلاندش لزوجته مــن دون أن ينظر اليها . من يكون هذا الرجل ؟ ومــا الذي وراءه أو يسعى اليه ؟ وهل جونسن هــو أسمه الحقيقي ؟ وما الذي يبغيه من المجيء إلى هنا ؟ أنا غير مرتاح للامر كلــه يــا ماجي ، أن هنالك شيئا غامضا في الموضوع وأنــا لا أثق بهــذا الغريب .

فالتقطت النقود من بين أصابعه وهي تقــول : وكيف لي أن أعرف ؟ أن نقوده تنفعنا ، اليس كذلك ؟ وهو يملك الكثير منها فلم لا نحصل نحن أيضا على بعضها ، أمــا عن الشيء الذي يسعى وراءه ، فأنني لا أستطيع أن أبدي رأيا قاطعا عنــه ، أنــه شيء يتعلق بالمانور ، فقد كنت أرقبه عندما ذكر لــه ذلك الرجل بأنهم ذاهبون لهدمه ، بدأ كما لو أنه صدم .

ــ هــل ما يزال يرغب بالبقاء هنــا بعد أن شاهد غرفتــه ؟

ــ إنــه لم يعدها أي أهتمام وقال بأنــه سيقوم بجولة في المنطقــة حالما ينتهي مــن تناول وجبة الطعــام .

وفجأة أنتصب بلاندش واقفا كما لو أنه تذكر شيئا ثــم قال : لقد بدأت أتذكر الآن ، الندبة التــي على يــده ، ربما أنت لا تتذكرينها ولكنني أنا أتذكر، لقــد توصلت أخيرا لمعرفة من يكون يا ماجي ، أن أسمه ليس جونسن بــل هــو (هاري سينتنس) كبير

الخدم ، الذي كان يعمل في المنور اكثر من اربعين سنة مضت عندما حدثت سرقة العقد الماسي .

وضعت مـا جي يدها فوق فمها مندهشة لكي تكبت صرخة كادت تصدر عنها وقالت : العقد الذي لم يتم العثور عليه ابدا ؟ والذي أعتقدوا أن مدبـرة المنزل التي ماتت غرقا هي التي سرقتـه ؟

ـ هـو بعينه يـا ماجي ، أنت لم تكوني هنا في ذلك الحين ولكنني أنـا كنـت ولم أكن حينئذ سوى مجرد صبي العب في الحديقة ولم أكـن حتى أعرفك بعد ، لم يكن سينتنس موجودا عند سرقة العقـد ولكنه كان على علاقة مـع مدبرة المنـزل وهناك العديد مـن الناس ممن كانوا يشكون بأنه كانت له علاقة ما بحادث السرقة ، لكن الشرطة لم تتمكن من أثبات أي دليل ضده وقد كان هنالك الكثير من (القيل والقال) ولكنه كان قد وصل الى أستراليا ، أنـا أتذكر تلك الندبة الان كما أن كـل مـن كان في المانور

يعرفونها ، والشيء الآخر هو الخنة التي تصاحب كلامه . ترى لأي سبب قد عاد الى هنا يا ماجي ؟

كانت توشك أن تجيبه عندما صدر ضجيج بالقرب من باب الغرفة جعلها تتوقف عن الكلام وبسرعة أتجهت نحو الباب وفتحته فرأت أمامها الرجل الذي ادعى نفسه (وليم جونسن) .

تقدم بلاندش نحوه وبادره قائلا : نحن نعرف من تكون ، أنت (هاري سينتنس) عدت من أستراليا وقد كنت تشغل وظيفة كبير الخدم في المانور عندما حدثت سرقة العقد الماسي ، وبذا تكون المعلومات التي أعطيتها لنا غير صحيحة ياسيد سينتنس .

عندئذ أصبح وجه الرجل الغريب شاحبا واهتز غضبا وهو يتوعدهم ويقسم بأنه لم يكن يعمل أبدا رئيسا للخدم ولم ير المانور اطلاقا وبما أنه لم يرق له سلوكهما فأنه سيغادر الخان على الفور .

فرد سيمون بلاندش على انكاره قائلا : ليس ثمة من فائدة ترجى من محاولتك للانكار ، فأنا أعلم

بأنك كنت كبير الخدم في المانور وكنت أنا وقتذاك ابن فلاح لا أكثر ، لكنني أتذكر تلك الندبة على يدك وكنت أتساءل مع نفسي منذ مقدمك الى هنا ، متى سبق لي أن رأيتك ، فقد مضى وقت طويـــل وأنت لا تتذكرني على أية حال ، حينها كنت أنت مهتما بتلك المرأة الشابة التـــي كانت تعمل مدبرة للمانور ، وأني لسوف أتذكر أسمها قريبا ، يـــا لها مـــن فتاة مسكينة ! فقد وجدت غريقة في النهر في حـــين كان الجميع يتساءل فيما أذا كانت الشرطة تشك بأنهـــا قـــد سرقت ماسات عائلة (وايت فلاور) ، أنك تتذكرها يا سيد هاري سينتنس أليس كذلك؟ نهض سينتنس محاولا أن يضرب بلاندش ولكن الاخير كان أكبر حجما منـــه ، أقوى وأكثـــر شبابا ، وبيد صلبة وضعها علـــى كتفي سينتنس مـــا أجبره على الجلوس في المقعـــد ثانية .

ـ أجلس على كرسيك وأستمع الي يا صديقي فقد عاد كل شيء الى ذاكرتي الآن ، واذا لم يكن بأمكانك أن تتذكر فانني سأساعدك في ذلك ومن الافضل لنـــا نحـــن الثلاثة أن يفهم بعضنا بعضا وذلك لان الشرطة

يهمها أن تعرف بأن هاري سنيتنس قد عاد الى البلدة ثانية ، كما أن العقد لم يعثر عليه ابدا ، والآن أصغ إلي ولا تقاطعني فالذي نريدك أن تخبرنا به ، هو ، لم عدت ثانية ولم نراك ترتبك وتنزعج على هذا النحو كلما ذكر أمامك أي شيء يتعلق بالمانور الذي يهدم الآن ؟

ثم أومأ لزوجته التي كانت تصغي اليه في دهشة ، فرحة ، وقد بدا زوجها مغتبطا جدا بنفسه لكونها المرة الاولى التي يتحمل فيها مسؤولية موقف ما . واسترسل في كلامه : لقد كنت رجلا مهما في المانور في تلك الايام،فوظيفة كبير الخدم كانت مرموقة، لكنك كنت تتطلع الى ما هو أبعد من ذلك ، وأنا على علم بالكلام الكثير الذي كان يدور حولك وحول مدبرة المنزل ، لقد كانت سيدة لطيفة وقد أحبها الجميع ، هل تتذكر أسمها يا صديقي ؟...

لا تنزعج فقد تذكرته ، انه (هرييت براون) ، لقد كنت احاول تذكره وأخيرا نجحت في ذلك ، وعلى أية حال ، فأن هنالك الكثير الذي سأقوله يا هاري ،

الكثير جدا . ففي أحد أيام الصيف . عندما كانت تقام حفلة راقصة وكان المانور مليئا بالضيوف ، سرق عقد الماس الذي تملكه عائلة (وايت فلاور)من غرفة السيدة، وقد كنت أنت خارج البلدة مـدة يوم أو يومين حيث ذهبت لتشييع جنازة أو لسبب آخر ... كلا لا تحاول أن تنهض يا سينتنس فأنا أحاول فقط أن أساعدك على التذكر.في ذلك اليوم حضرت الشرطة وقامت بالتحريات وتـم أستجواب جميع الخدم بأسئلة كثيرة ولم يرق للجنرال ، زوج السيدة . أن يتـم اقحـام ضيوفه في الامر ولم يرغب بأن تؤخذ أفاداتهم كما قيل لي ، ولكن قبل أن تغادر الشرطة كانت الآنـسة براون قد غرقت في النهر . كانت في تلك الليلة عاصفة هوجاء ولم يتمكن أحد ما من معرفة السبب الذي لأجله تركت الآنـسـة براون المنزل في ليلة كتلك الليلة وما زال الناس في هذه القرية يتحدثون حتى الآن عن تلك العاصفة .

ولـمـا رجعت أنت الى المانور كان يغالبك احساس بالمرارة لما حدث للانسة براون وقد كنت منزعجا الى

حــد انك غادرت القرية بعدها بمدة قصيرة وسافرت إلى أستراليــا .

والآن ، قل لنا لم عدت ثانية الى (برنك ودد) يا هاري ، اذ لربما يكون بأمكاننا مساعدتك بطريقةما ؟

قبل أن يجيب سيتنس تساءل مــع نفسه ، لــم لا يطلب مساعدة هذين الاثنين ؟ فأن ذلك قد يجنبــه الكثير مــن العناء ، واذا ما أفلح في تحقيق هدفه الذي جــاء مــن أجلــه ، فأنــه بلاشك سيجد طريقة مــا للتخلص منهمــا .

ثــم أجاب علــى ســؤال بلاندش : أن الحظ يعاندني ، أنــا أعترف بأنني هاري سينتنس ولست أرى ما يسنع تعاونـنــا .

فقاطعته السيدة بلاندش بحدة بقولها : انــك لم تقل لنــا أي شيء بعد ، ماذا عن هذه المرأة ، هربيت بــراون ؟ أجابها :

ــ لقــد كان غرقها مجرد حادث ولم أكن موجودا هنــا حينذاك ، فقــد كنت في برمنكهام حيث

كنت أزور والدي العجوز المريض وليس لي أدنى علاقة بذلك الحادث ، فقد كنت مولعا بهربيت وأعتقد أن الجميع هنا كان يعلم ذلك .

فأردف سيسون بلاندش ، أجل لقد كانوا كذلك، لقد أعتقدت الشرطة ، ياهاري بأن هربيت قد سرقت العقد . ولكنهم لم يتمكنوا من أثبات ذلك ، فهل فعلت ذلك حقا ؟ أقصد هل أنها سرقت من أجلك أنت؟ فأستدار سينتنس مبتعدا ثم جلس بتثاقل المهزوم وأجاب : أجل لقد فعلت ذلك من اجلي ، لاننا كنا نكره المانور وكنا نود أن نتزوج ونبدأ بداية جديدة في أستراليا ، وعلى حد علمي فأن هربيت قد سرقت العقد . وبما أنه لم يتم العثور عليه بعد فأن ذلك يعني أنه ما زال مخبأ في مكان ما بأنتظار من يعثر عليه.

وبعد أن قرأت في احدى الصحف بأنه سيتم بيع المانور بعد موت السيدة وايت فلاور ، وحيث أني كنت أقيم وحيدا هناك ، فقد عدت من أستراليا بهدف البحث عن الثروة التي خبأتها هربيت كما أعتقد في

مكان مـا في المانور ، حين كانت تنتظر عودتي اليها ، ولكن المسكينة ماتت غرقا في تلك الليلة العاصفة ،ولولا موتها المفاجيء هذا لكانت قد باحت لي بكل شيء عن هذا الموضوع ، لانها كانت تثق بي كثيرا .

ثـم أبدت (ماجي) رأيها قائلة : أعتقد أنـك قـد أقنعتها كي تخوض كل هذه الاخطار ومن ثـم غادرت الى برمنكهام بحجة ما في حين ظلت هي وحدها في مواجهة كل الاخطار ، يالها من أمرأة مسكينة ،أين تظن بأنها قـد أخفت العقد ؟

ـ إن المكان الاول الذي يجب البحث فيه هـو غرفتها وخاصة في الموقد أو تحت أرضية الغرفة وعلينا أن نشرع بالعمل قبـل أن يبدأ العمـال بالهدم ، هل المنزل خال الآن ؟ ماذا حل بأثاثه ؟ وإذا ما قمتما بمساعدتي فأن كل واحد منا سيأخذ ثلث الثروة ، وهي قسمة عادلة ، أليس كذلك ؟

مشى بلاندش الى باب الغرفة وفتحه وهو يقول: نحن مـن سيقرر مقدار القسمة العادلة وذلك بعـد عثورنا علـى الماسات .

فقاطعته (ماجي) وهي تقول : أصغيا إلي ، لقد تذكرت الآن أمـــرا مهمـــا يخص الاعلان المنشور في الصحيفة المحلية حول بيـــع أثاث قديم في (لودلو)، والذي سيتم اليوم أو غدا كما هو مذكور وأن بعض ذلك الأثاث قد تم جلبه من المانور .

إهتز سينتنس مـــن فرط الاثارة لدى سماعه هذا الخبر ثم طلب من ماجي أن تأتيه بالصحيفة لكي يطلع عليها ، كما قرر بأن عليه ان يذهب الى ذلك المزاد .

لدى سماع بلاندش لهذا قال له : إذا ذهبت الى المزاد فأنني سآتي معك يا صديقي ، فأنك منـــذ الآن لـــن تذهب الى أي مكان وحدك .

الفصل الثاني

« الدليل المخــفي »

على بعد عشرين ميلا تقريبا الى الشمال الغربي من (برنك وود جيس) تقع (بارتن بيج) حيث يخيم عليها ظل الامتداد الجبلي (ستايبر ستوسن) المتوج بصخور الكوارتزايت . والبلدة ككل تعج بكل ما يمت بصلة الى التراث الشعبي والاساطير ، وفي معظم الاحيان ، يحجب الجبل بالضباب الكثيف الذي يحيط به ، الناس الذين يقيمون في بارتن بيج والاكواخ المتناثرة حولها ، يعتقدون بأنهم عندما لا يتمكنون من رؤية مقعد الشيطان « أي قمة جبل الستايبرستوسن » ، فأن ذلك يعني بأن الشيطان سيكون جالسا على عرشه . كانت بلدة (بارتن) في ابهى صورها ، صبيحة اليوم الذي وصل فيه (هاري) الى برنك وودجيس ، اما الشارع الوحيد للقرية فلم يكن فيه ما يثير الانتباه ، ومن اهم معالم القرية كنيسة صغيرة موحشة وخان ومتجر واحد

تعتاش من دخله عائلة (جيني هارمن) وهـي صبية في الخامسة عشرة من عمرها ، المتجر نفسه يستخدم من قبل أهـل القريـة كدائـرة بريد ، يديره والـد جينـي وهو رجـل ضئيل الحجم ، باهت ، غير مهندم ، ذو شارب اسود كبير ملفت للنظر • كان السيد (هارمن) يبيع في متجره معظم انواع البضائع المتداولة •

ابتدأت احداث قصتنا هذه في صباح ذلك اليوم الذي كانت فيه (جيني) وحدها في المتجر ، فيما كـان والدها في الطابق العلوي منشغلا بانجـاز سجـلات حساباته ، كما ان زوجة ابيها كانت هي الاخرى منشغلة بغسل صحون الافطار •

كانت (جيني) ذات شعر احمر شبه مجعد ، مرتبة الهندام ، عيناها رماديتان ووجهها يبدو شيئا مثيرا كان يوشك ان يحدث في حياتها •

في هذا الصباح ذاته ، سرحت جيني بأفكارها من دون وعي منها الى صديقها (توم انكلز) الذي يعمل في حقل عمه وهو يبعد بعض الاميال عند الجانب الاخر من

جبل يدعى (لونك مند) ، وتوم هو صبي في السادسة عشرة من عمره كان قد قدم من لندن ، وهو من افضل اصدقاء جيني على الاطلاق وعلى الرغم من انــه كان منشغلا في معظم الاحيان ولكنهما كانا ينتهزان بعضــ الاوقات ليلتقيا فيها اثناء العطل ،في حقل (انكلــز) كانت جيني تلاقي ترحابا كبيرا واحتفاء بالغا ، وكان توم وكذلك جيني اعضــاء في نادي يدعى (مجموعة لــون باينرز) ولكنه لم يكــن يأخــذ هذا الامر على محمل الجد كما كانت جيني تفعل ، خصوصا وان النادي كان يمثل بالنسبة لها اروع شيء في حياتها ، استمرت جيني سارحة في افكارها نحو اعضاء النادي الاخرين مثل (بيتر)التي كانت تكبر جيني بسنة واسمها الحقيقي هو (بيترونيلا ستيرلنك) وهي تدرســ في مدرســة داخلية بالقرب من (شروس بيري) وهي ايضا احدى الصديقات الاثيرات لجيني . ثم كان هناك ثلاثة اخوة يدعون (آل مرتن) وهم (ديفيد) الذي كــان في السادسة عشرة ثم اخوه واخته التوأمان (ديكي) و (ميري) وهم يقيمون في لندن ، الا ان لهم منزلا ريفيا

قديما يستلكه والدهم يدعى (وجيند) وقد كانت فكرة تأسيس النادي في الاصل تعود لكـل مـن (بيتر) و (ديفيد) وقد كانت (جيني) تتطلع الى قرب وصول (آل مورتن) الى (وجيند) لقضاء جزء من عطلتهم الطويلة في الريف ، وعندئذ سيلتم شمل اعضاء مجموعة (لون باينرز) مجددا وسيكون امامهم الكثير من الوقت للتسلية .

في ذلك الصباح عينه ، بينما كانت جيني ماتزال تحلم بأن العديد من الامور المثيرة من الممكن ان تحدث ، فقد حدث فعلا اول تلك الامور وكان غير متوقع . وذلك عندما رفعت جيني رأسها لترى بأن هنالك صبيا يلامس النافذة بوجهه وهو يحملق عبر الزجاج فيما تدلت على جبينه خصلة من الشعر الملساء جدا . وعلى الرغم من انها قد سبق لها ان رأته من قبل، الا أن ظهوره المفاجيء في ذلك الصباح وسلوكه الغريب جعلاها تقفز من مكانها ، كما لو ان احدا باغتها ، لقد كانت على يقين من ان هناك شيئا من الغموض يكتنف ذلك الصبي الذي ظهر في القرية مرات عديدة في الايام

القليلة المنصرمة ، وكل ما عرفته عنه هــو ما اخبرتها به زوجة ابيها من انه يقيم مع سيدة عجوز وهي عمته ، في كوخ الارملة المسماة (السيد كوبك) والذي يبعد مسافة نصف ميل عن القرية .

عندما شاهدته جيني اول مرة في الشارع ابتسست له لانه بدا وحيدا وحزينا وعلى اثر ذلك توردت وجنتاه ثم استدار متجها بعيدا عنها . وبالامس . شاهدتــه يمر مرتين من امام باب المتجر ، وقد اخبرها والدها بان الصبي عاد ليشتري كراسا لكتابة الرسائل وطوابع . وقد تولدت لدى جيني قناعة بان هنالك سرا في حياة هذا الصبي لذا عقدت عزمها على القيام بأماطة اللثام عنه . فاتجهت نحو باب المتجر وفتحته على مصراعيه مما جعل الصبي يسرع بالابتعاد عنه وهو يتلفت من حين الى حين وينظر خلفه . ولمــا قررت جيني ان تلحق به . توقفت بالقرب من المتجر سيارة لاندروفر ولــم تصدق عينيها عندما ترجــل منها (توم انكلــز) الذي كان يجلس بالقرب من السائق .

وعلى الفور أحست جيني بأن وجهها قد اكتسى بحمرة وردية لشدة انفعالها وفرحها وقبل ان يتكلما فيما بينهما ، ناداها العم (أنكلز) مرحبا « هالو جيني ، انا لن تتمكن من المكوث معك طويلا يا أبنتي ، لانني ذاهب الى سوق (بشوب كاسل) انتظراني أنت وتوم ريثما اعود اليكما ، الى اللقاء » ثم انطلق ثانية مبتعدا بسيارته .

فأبتدأت (جيني) كلامها مع توم قائلة : أوه ياتوم لقد حدث لي توا مالم يحدث من قبل على الاطلاق ، فعندما كنت واقفة فوق درج المتجر لاحظت وجود صبي يقوم بمراقبتي كما لو انه كان شبحا .

لدى سماع توم لحديث جيني ، اعتقد أنها تسرح بخيالها من جديد كما هي عادتها ، لذا قال لها : انا لا أعرف عما تتحدثين يا جيني ، كل ما اعرفه هو ان محصول (انكلز) ما يزال غير جاهز للحصاد وان عمي قد ذهب الى السوق لانه سيقابل هناك شخصا ما يتفق معه على بيع المحصول ولذا فقد ابقاني هنا ، ترى كيف تسير أمور حياتك يا جيني ؟

أجابته قائلة : هيا الى الداخل يا توم فأنا اقـوم اليوم بتمشية امور المتجر وسوف أخبرك عن هـذا الصبي الجديد هنا ، ماذا عن رفاقنا الاخرين يا توم ؟ وماذا سيفعلون في هذه العطلة ؟

تبعها توم الى داخل المتجر الموحش وهو يقول : انني لا اعلم الشيء الكثير عنهم عدا كون (بيتر) قد عادت الى منزلها من المدرسة الداخلية ، وان الاخرين في طريقهم الى (وجيند) فقد بعث ديفيد برسالة الى بيتر ولكنني لست اعلم متى سيكونون هنا تماما .. لربما عندما نبدأ الحصـاد .

ثم راحت تخبره بكل ما تعرفه عن الصبي الغامض على الرغم من انه لم يكن هناك الشيء الكثير الـذي يمكن ان يقال بهذا الخصوص ، ثم انهت حديثها قائلة:

ــ اني اعلم يا توم بانه وحيد وحزين وانه ينبغي علينا ان نعرف المزيد عنه ومن ثم تقديم المساعدة لـه أن امكـن .

ضحك توم وهو يقول : هل انت واثقة من انك لم تقومي بنسج هذا الذي قلته توا من مخيلتك ؟ فالامر كله يبدو كما لو انه قصة اخرى من قصصك الخياليه ... انظري يا جيني ان هناك شاحنة تقف خارج المتجر .

وما لبث ان قرع جرس المتجر ودخل رجل يحمل حزمة كبيرة من الصحف وقال لجيني وقعي هنا من فضلك ، شكرا جزيلا .

عند خروج الرجل ، قالت جيني لتوم . ابق هنا يا توم ريثما انادي ابي من فوق وها هي الصحيفة اليومية . وهي تأتينا من (شروس بيري) ، والكثير من الناس سيأتون الى المتجر لشرائها . اذا كان بحوزتك سكين فأقطع به الحبل الذي يلف الحزمة ،ففعل توم ما طلبته منه جيني ثم بدأ يتصفح الجريدة ليعرف فيما اذا كان هنالك اي فلم يعرض في السينما ، وفي أثناء ذلك نزل السيد (هارمن) من الطابق العلوي وبادر توم قائلا : صباح الخير يا توم . أن مجيئك اليوم يعد مفاجأة سارة لنا وأنت تعرف بأنك دائما محط

ترحيب هنا ... أنني آسف لعدم تمكني من رؤيتة عمك وعلى أية حال فأنا أفكر بالذهاب الى (لودلو) قريبا وستقوم والدة جيني بأدارة المتجر ريثما أعود وأذا وددتما الاثنان بالمجيء معي فيمكنكما ذلك ... دعونا نلقي نظرة على صحيفة اليوم . لقد أخبرني أحدهم بأنه سيقام مزاد لبيع أثاث مستعمل في لودلو اليوم وأنا كنت أبحث عن أريكة وعدد من الكراسي كنت قد وعدت والدة جيني بشرائها لها. آه ، ها هو الاعلان ... أنه يذكر في ظهيرة هذا اليوم وفي الساعة الثانية والنصف ستصل بعض قطع الاثاث من (برنك وودمانور) وهو من نوع الاثاث نفسه الذي أرغب في شرائه . انني أرى أنه من الافضل لكما أن تصحباني الى هناك . وسنقول لوالدة جيني بأن هناك مفاجأة بانتظارها اذا ما وافقت على البقاء هنا في المتجر . دعونا نسألها .

في طريقهم الى الطبق العلوي همست جيني لتوم :

هل تمانع بالمجيء الى لودلو ؟ أن والدي يرغب حقا

في أن نرافقه ، وبأمكاننا أيضا أن نذهب لزيارة القصر الموجود في لودلو .

فلـــم يمانع تـــوم في ذلك .

لقـــد وصفت (لودلو) من قبل بعض الناس بأنها أجمل مدينة ريفية في انجلترا ، وفي القرن الثاني عشر كانت أسوارها مزودة بسبع بوابات لم يتبق منها الآن سوى بوابة واحدة ، كما أن قصرها المنيف الذي يلقي بظلاله على كل ما موجود في لودلو وهو قائم مثـــل نصب تذكاري للايام الخوالي التي كانت تسمع فيهـــا صلصلة السيوف الفولاذية للفرسان المدججي السلاح وهـــم يمتطون جيادهم في الحروب ، وتحت أســـوار القصر وعند عتبة المنحدرات الصخرية يتفرع نهر التايمز الى شطرين قبل أن يمر تحت جسرين في طريقه ليصب مياهه العذبة في نهر (سيفرن) .

بعد ان قطعت سيارة السيد هارمن العتيقة التل المترامي الاطراف ، وصلوا الى مدينة لودلو ، فأوقفها في أحد الاماكن المخصصة لذلك وسأل تـــوم وجيني

عما يرغبان القيام به فأجابته أبنته جيني : نحن نرغب أن نزور قصر المدينة ونتجول فيه يا أبي فلم يسبق لتوم دخوله ، فهل بأمكاننا أن نقوم بذلك ، ثم نلقاك فيما بعد في مكان ما ؟

راق هذا المقترح للسيد هارمن . فأعطاهما بعض النقود وقال لهما بأن الملتقى سكون عند مدخل القصر ، الساعة الثانية بعد الظهر .

كان وجود جيني في لودلو مدعاة لمسرتها ، فقد كانت تهوى المدن وشوارعها المزدحمة وأناسها اللطفاء، الودودين ، فأشتريا هي وتوم طعاما لكي يتناولاه في أثناء نزهتهما ومن ثم أتجها الى القصر الذي سبق لجيني الذهاب اليه . لذا أقترحت على توم أن يتسلقا الدرجات الصخرية المتصدعة المؤدية الى أعلى القصر حيث يمكن لهما رؤية مشهد رائع من ذلك الارتفاع ، ولما وصلا الى الاعلى قالت جيني : دعنا نتناول طعامنا هنا يا توم ، ويمكنك أن تتخيل نفسك فارسا يدعى السير توماس أنكلز ، وأنك توشك أن تخوض احدى

المعارك وسأهديك زهــرة لتثبتها في خوذتك ، وعندما تواجه العــدو ستصرخ بــه قائلا ... في سبيل الله والليدي جيني ... فأنا الليدي جيني كما ترى .

وحين كان تــوم يستمع لحديث جيني الخيالي . قضم قطعة كبيرة من أول شطيرة لــه ولكنه وفي الوقت نفسه لم يتوقف عن الضحك بصوت عال مما قالته توا . وكان يفكر في نفسه كم محظوظ هو لان لــه صديقة مثل جيني التي على الرغم من كل هذرها لم تخذله أبدا في يوم من الايام. وقد واصلا الاستمتاع بنزهتهما معا. لكــن الوقت مر سريعا حتى أنهما أندهشا عندما سمعا ساعة البرج الضخم لكنيسة القديس لورنس تــدق معلنة الثانية بعد الظهر ، عندما مشيا حتى وصلا مدخل القصر فألتقيا بالســيد هارمن الذي كان يبدو عليه أنه كان يتمتع بمعنويات عالية وأنشراح فقد أخبرهما بأنه قــد قــام بتفحص بعض الاثاث الذي جلب مــن برنك وودمانور الى المزاد وأنــه قــد قرر أن يشتري منــه أريكة وكرسيين ، وأن هذا الاثاث سيروق لوالدةجيني

لانه من الطراز القديم وذو ثمن زهيد ، اذ سيتم بيعه على دفعتين كما هو مذكور في الاعلان .

كانت صالة المزاد تقع في شارع ضيق ، وعندما وصلوا الى هناك وجدوا ثلاثين أو أربعين شخصا من الحضور وكان جو الصالة عبقا بدخان السجائر ، أما الاثاث والحاجيات المنزلية الاخرى فقد كانت مكدسة في الصالة ، وقد تمكن السيد هارمن أن يحشر نفسه عنوة في الصف الاول من الناس الواقفين ، بينما همست جيني في أذن توم قائلة : أني لا أعتقد بأن هذا المزاد يمكن أن يكون مكانا مثيرا وممتعا يا توم ، ما رأيك لو خرجنا من هنا ؟ فأنا لا أتمكن من رؤية ما يحدث هناك على نحو جيد في هذا الزحام .

لكن توم كان يرغب أن يطلع على ما يجري في المزاد لذا أمسك بذراعها وأخذها الى جانب من جوانب الصالة حيث أمكنهما أن يجلسا على حافة مائدة مطبخ معروضة للبيع ، ثم أبتدأ المزاد ، فبذل المنادي بصوته الرتيب كل ما بوسعه لكي يرفع أسعار المزايدة وهو

يضرب المنضدة بمطرقة صغيرة ، عندما كانوا يصلون الى أعلى سعر في المزايدة . عندها يقوم عاملان من عمال رفع الاثاث بحمل ما تم بيعه منها الى خارج الصالة ثم يذهب المشتري الى كاتب يجلس عند منضدة أخرى حيث يتم دفع مبالغ الشراء له .

وبعد قليل خرج بعض الناس من المزاد ، ومع تزايد حرارة الصالة أكثر وأكثر كان ضجر جيني يزداد، في آخر المطاف أعلى المنادي عن أثاث برنك وودمانور وبما أن ما كان معروضا منه لم يكن ذا قيمة تذكر ، فقد كان قلة من الحاضرين مهتمين بشرائه ؛ ولما تطلع السيد هارمن حوله أبتسم لجيني وتوم وأشار الى الاريكة ذات الظهر المقوس والتنجيد الاسود اللامع وكانت جيني تعلم جيدا كم كان والدها متحمسا للحصول على أثاث رخيص الثمن كهذا المعروض للبيع ولكنها لم تكن ترغب بالجلوس على تلك الاريكة ، وقبل أن تخبر توم بما كانت تفكر به وقتها ، أحست بأن شخصا ما كان يراقبها فاستدارت بسرعة ولشدة دهشتها لمحت الصبي

ذا الشعر الناعم يحدق فيها ثم همس بشيء ما في أذن امــرأة طويلة رمادية الشعر ترتدي طقما من الصوف وكانت تبــدو عليها الطيبة ولكنها كانت تبدو كذلك قلقة وحزينة ، وعندما وقع نظرها على جيني أبتسمت لهــا ، عاد المنادي الى المزايدة من جديد لبيع الاريكة فعرض السيد هارمن خمسة باونات ، فقال المنادي : هيا أقبلوا أيها السيدات والسادة فقــد عرض أحــد السادة خمسة باونــات فقط لهــذا النموذج الحرفي المتكامل الذي يعود الــى العصر الفكتوري • فهتف صوت عميق من آخر القاعة (ستة باونات) ، استدار الجميع الى حيث مصدر الصوت وكان أسرعهم السيد هارمن الذي أراد رؤية ذلك الذي يريد شراء الاريكة فوقع نظرة على السيدة ذات الطقم الصوفي والتي مــا لبثت أن رفعت السعر الى ثمانية باونات بعدما عرض السيد هارمن سبعة ، فهمست جيني لتــوم • آوه ، يــا توم ، أن والدي قد بدأ بالانفعال ، هل ترى ذلك الصبي الجميل هناك ؟ أنه هو نفسه الذي أخبرتك بأنه

كان يتلصص علي وهو الان يرافق السيدة التي ترغب بالحصول على الاريكة ولا أعرف سر اهتمامها بها .

رست المزايدة أخيرا على السيد هارمن لقاء مبلغ عشرين باونا وهو أعلى مبلغ دفع ثمنا لتلك الاريكة ، وبينما كان يدفع المبلغ للمحاسب ، شق رجلان طريقهما عبر صالة المزاد وكـان أحدهما بدينا وشاحبا ورث الثياب ، أما الآخر الذي بدا متحمسا وغاضبا ، فقـد كان يرتدي بدلة بنية ونظارات ذات اطار فولاذي ، ولدى بلوغهما المكان الذي كان توم وجيني يجلسان فيه سمع توم الرجل ذا البدلة الصوفية يقول لصاحبه : هل ترى تلك الاريكة السوداء ياسيمون ، هناك الى اليسار ؟ أني أذكر بأنها كانت في غرفة هربيت ، ترى هل من المهم لنا اذا ما أشتريناها ؟ فأجابه الآخر بصوت خفيض : لا يبدو بأنه مـن الممكن أن يخبأ فيها شيء ولكـن ...

وهنا أحس بأن هناك من يسترق السمع اليه فنظر غاضبا الى توم وجيني ، ثم همس شيئا في أذن صاحبه .

عندما أعلن المنادي عن بيع الكراسيين المتماثلين ، طلب الرجل الذي كان برفقة سيمون مـن المنادي أن يعلن عن بيع الاريكة معهما في آن واحد وبذلك يمكنه أن يحصل على طقم فأخبره المنادي بأن الاريكة قـد بيعت ، فغمغم مـع نفسه ثـم عرض على المنادي مبلغ خمسين باونا ثمنا للكرسيين ، فلم يرغب السيد هارمن في منافستهما بعد أن دفعا مبلغا كهذا ، كما أن السيدة التي كانت ترافق الصبيهزت كتفها وهمست بشيء ما في أذنه ثم غادرا الصالة ، أثر ذلك قالت سيدة بدينة لاخرى بجوارها : أنني أشعر بالاسى لهـذه السيدة والصبي وأعتقد بأنها كانت ترغب في الحصول علـى قطع الاثاث العتيقة تلك لانها تعود للمانور. كان السيد هارمن الذي تمكن من أقناع عاملين لكي يحملاأريكته الى الخارج يلوح بيديه لكل من توم وجيني لكي يتبعاه، فنزلا عـن الطاولة ، ثم قالت جيني للمرأة البدينة : أرجوك أن تذكري لي أسم ذلك الصبي الجميل ، لقد سمعتكما وأنتما تتحدثا عنه .

أبتسمت لها وقالت : أنه يدعـى نيكولاس وايت فلاور وتلك السيدة هي عمته وهي آخر ما تبقى له من أقارب على قيد الحياة ، ذلك لان والدته قـد توفيت منـذ شهر مضى تقريبا ، وهو يكاد لا يذكر والده ، لقـد سكنت عائلة وايت فلاور مدة قرن وأكثر فيمنزل كبير لا يبعد كثيرا عـن هنا يدعى (برنك وود مانور) ولانهم كانوا يرزحون تحت وطأة ديون ثقيلة ، كما يدعي البعض ، فقـد باعوا كل أثاثهم وكذلك المانور الذي من المقرر أن يهدم قريبا ، انظري الى ذلك السيد ذي الشارب الكث يبدو أنـه في مأزق •

فقالت جيني ضاحكة : أنه والدي وسوف نذهب لتقديم المساعدة لـه ، مع السلامة • كان السيد هارمن يبـدو فرحا بأريكته التـي وضعها عمال المزاد علـى الرصيف ، قال مخاطبا جيني : أجلسي فوقها وأحرصي على أن تحافظي عليها ، بينما أذهب أنا لاجلب السيارة ، ومن ثم توجه بحديثه الى رجلين يقفان بالقرب منه : ستكون لكما مكافأة مجزية اذا ما أنتظرتماني لكـي تحملانها معي الى السيارة •

ذهب توم مع السيد هارمن لجلب السيارة من موقف السيارات في حين جلست جيني بين الرجلين على الاريكة ، وقد صدق تخمينها فلم تكن الاريكة مريحة على الاطلاق ، وبينما هي على هذه الحال ، خرج من قاعة المزاد الرجلان اللذان لم يوفقا في المزايدة ثم تقدما نحوها وسألها الرجل البدين : أين ذهب الرجل الذي أشترى هذه الاريكة ؟ فنحن نرغب في شرائها منه .

أجابته جيني : لا أعتقد أن بأستطاعتكما ذلك .

بعد قليل انعطف السيد هارمن بسيارته حول المنعطف وقادها الى حيث توجد الاريكة وعلى الفور بادره الرجل ذو البدلة الصوفية قائلا : أنا لا اريد أن أضيع وقتك لكنني أود أن أعطيك خمسين باونا ثمنا لهذه الأريكة ، ذلك لانها تتماشى مع الكرسيين اللذين أشتريتهما .

فأهتز شارب السيد (هارمن)من أثر المفاجأة وبدأ يفكر بين نفسه ، ثلاثون باونا مكسب (ربح في غضون دقائق معدودة) ، ان هذا لا يحدث دائما ، وأدركت

جيني ما كان يفكر فيه وفجأة أحتدت غضبا على الرجلين وهي تشاهد الرجل ذا البدلة البنيـــة يخرج الاوراق النقدية من محفظته ، فجذبت والدها من ذراعه قائلـــة لـــه : لا تبيعها له يا والدي لانك وعدت والدتي بأن تعود لها بمفاجأة من هـــذا المـــزاد وستحزن اذا أنت لم تف لها بوعدك كما أنك قلت قبل قليل بأن هـــذه الاريكة ستروق لهـــا .

فأكد والدها قولها : فعلا ان هذه الاريكة لهـــي مـــن ضمن الاشياء التي تروق لها ، فهي أنيقة ومتينة، كما أنها تبدو بحالة جيدة ، أنت على صواب يا جيني فأنا لم أحضر هنا لاجل الكسب وأنما لكي أشتري هدية لامك . آسف ياسيدي فأنا لن أبيع .

ثم اوعز السيد هارمن للعاملين بأن يوثقا الاريكة الى سيارته . في حين بدأ الرجل البدين يتهدد ويتوعد مما أفقد السيد هارمن سيطرته على أعصابه فطلب منهما أن يذهبا بعيدا ويبقيا هناك ، كمـــا أنه رفض أيضا أن يخبرهما من يكون أو أين يسكن في حالة لو أنه قرر أن

يغير رأيه ويبيع الاريكة ، بعد أن أنتهى العاملان من تثبيت الاريكة الى السيارة ، عاد الرجلان الـى صالة المزاد وهما يسبان ويلعنان • في طريق العودة تحدثت جيني مع والدها عن نيكولاس وايت فلاور ثـم قالت: كان من المفترض أن يقيم في المانور ، يا والدي لكنه معدم الان الى درجة أن عمته التي يعيش معها في كوخ صغير يقع في (كويك سيد) ، وقد كانت الاريكة والكرسيان مـن ضمن أثاث بيتهما القديم ، وأذ كنت يا والدي قـد أدركت قصدي فأنك حتما تقدر كم أنـه مـن القسوة بمكان أن نأخذ منهما ما كانا يتلهفان للحصول عليه ، اذ لربما أنهما لا يملكان حتى ما يسكن أن يجلس عليه في مكان سكناهم الحالي ، وفي حالة كون الاريكة لم ترق لوالدتي فهل بأمكاننا أن نعيدها لذلك الصبي الحزيـن نيكولاس ؟

فأجابها والدها بحزم : كلا بالتأكيد ، ففي تلك الحالة سأقوم ببيعها للرجلين اللذين الحا على شرائها ، ذلك أذا ما تمكنت مـن معرفة مكانهما •

فواصلت جيني محاولاتها معه : ولكن ياوالدي الا ترى بأن نيكولاس وعمته قد قطعا المسافة الى المزاد هذا اليوم لمجرد محاولة شراء ما من متاع منزلهما القديم ؟

الا يمكنك أن تقدر كم أن هذا الامر محزن ؟

لم يكن والد جيني وكذلك توم ليعيران أهمية فيما لو كان نيكولاس حزينا أم لا ، وكل ما استطاع أن يقوله توم هو : هلا توقفتي عن احداث كل هذه الضجة حول ذلك الصبي يا جيني .

لدى وصولهم الى المنزل قام السيد هارمن وتوم بفك الحبال عن الاريكة وأنزلاها الى الرصيف برفق ثم طلب من أبنته جيني أن تخبر والدتها بوصولهم .

ولشدة دهشة الجميع ، فأن السيدة هارمن أثنت كثيرا على شرائهم للاريكة ثم شكرت زوجها وذكرت أن الاريكة ستبدو بحالة جيدة بعد تنظيفها وتلميعها جيدا ، بعدئذ حمل كل من السيد هارمن وتوم الاريكة الى مكان مظلل في الفناء الواقع خلف المتجر ، فأقترحت

جيني أن يقوموا بتنظيفها وطلائها بملمع قبــل نقلهــا الى الطابق العلوي ، ووعدها توم بأنه سيمد لها يــد العون ، فذهب السيد هارمن الى المتجر ليحل محــل زوجته .

ولما شرع توم وجيني بطلاء الاريكة تحدثت اليه قائلة : من المؤكد بأنك لا تمانع يا تــوم وأنت تطليها معي ، لان هذا سوف يسعد والدتي .

فأجابها : أنا طبعا لا أمانع أبدا ، ترى هل تذكرين ما قاله أحد الرجلين عند مقدمهما الى المزاد حين كانــا يقفان بالقرب منا وقبل ان يعلما بأن والدك هو الذي أشترى الاريكــة ؟

كلا يا توم ، فهل لك أن تذكرني به ؟

لقــد قال أحدهما شيئا ما حول .. أنه يتذكر الاريكة في غرفتها ، في حين قال الآخر بأنه من المستبعد أمكانية أخفاء أي شيء بداخل الاريكة ، ولكن أنظري يا جيني الى هــذا الحيز بين الحشية وظهر الاريكة ، أن يديك أصغر حجما من يدي فهل لك أن تدخليهما في الشق لعلك تعثرين على أي شيء فيــه .

ففعلت جيني ما طلبه منها توم وقامت بتحريك يدها على أمتداد الشق ، وعلى الرغم من الالم الذي أحست به من جراء ذلك . الا أنها كوفئت عند عثورها علـــى ثلاثـــة بنسات ذات طراز قديم ، وأربعة أزرار زجاجية زرق وبعض القطع من خشب الكرز وكريم لاحد الاحذية ، فقالت ضاحكة : أنها مجرد مخلفات يا توم . هل كنت تعتقد بأننا سنعثر على كنز ؟

لم أكن متأكدا مما عسانا أن نجده يا جيني . فأن هذه الاريكة القديسة تبدو كما لو أنها كانت مصيدة لكل أنواع الاشياء ، حاولى ثانيـــة .

ففعلت ذلك وما لبث أن صاحت : أوه ، يا توم ، هناك بعض الاوراق أيضا !

ثم سحبت من شق الاريكة ورقة مصفرة اللون وبينما هي تفتح ضياتها . ظهرت فوقهـــا سطور مكتوبة بخط اليد وبشكل رديء وعلى الفور هتفت قائلـــة : انها جزء من رسالة على ما يبدو ، وتبدأ بجملة ، لقد قمت بما طلبت مني القيام بـــه وها أنت الآن تخذلني .

الفصل الثالث

« الرســــالة »

في الصباح الذي تلا بيع الاثاث بالمزاد في لودلو .
كانت الانسة وايت فلاور ونيكولاس يجلسان معا في غرفة المعيشة في كوخ السيدة (كويك سيد) الواقع على الطريق ما بعد (بارتون بيج) .

كان قد استأجرا غرفتين فقط في بيت السيدة (كويك سيد) ، وقد كان سبب مجيئهما للعيش هنا لان عمة نيكولاس لم تستطع ان تتحمل مرارة البقاء بالقرب من من برنك وودجيس حيث كان الجميع يعرفهما هناك ، كما ان بارتن لم تكن بعيدة جدا عن لودلو وشروس بيري حيث كان لهما بعض الاصدقاء ، والاهم من هذا وذاك هو ان السيدة (كويك سيد) كانت هي الوحيدة التي وافقت على الاعلان الذي نشراه في الصحيفة ، يطلبان فيه الاقامة في مسكن رخيص .

وقد كانت الارملة (كوك سيد) طباخة ماهرة ومنزلها نظيفا ، ولم تكن تتكلم كثيرا الا مع قططهـا التسع .

لكن نيكولاس استشعر بغضا لهذا المنزل المؤقت في (بارتن بيج) لانه كان من الصعب عليه ان يتفهم لم قد بيع منزله وهو الان في طريقه لان يهدم . كان على الدوام يشعر بانه وحيد وحزين من دون والدته على الرغم من أنه كان يحب عمته (مارجريت) على قـدر كبير ، الا ان المشكلة كانت تكمن في انها لـم تكـن تدرك بان صحبتها لينكولاس لم تكن كافية لصبي مثله ، وانه كان يرغب في عقد صداقات مع من هـم بمثل سنه . وفي هذا اليوم كانت الانسة وايت فلاور ترتدي طاقمها الصوفي المهلهل الذي كانت ترتديـه بالامس في المزاد . وقد جلست كـووك على احـد المقاعد : اما نيكولاس فقـد كان يحـدق بعصيـان مكشوف من خلال النافذة . ذلك لان عمته كانـت ما تزال تهدر وتدمدم حول البرج المسمى بكرسي او مقعد الشيطان في اعلى القريـة . كانـت ملابـس

نيكولاس قد بللها المطر وشعره الناعم ينساب على جبينه . وعندما خاطبته عمته لم يلتفت نحوها وهي تقول له : ينبغي عليك ان تستبدل ملابسك المبللة ، الم يكن من الاجدر بك عندما ذهبت الى القرية ان تفكر في المكوث هناك بعض الوقت بدلا من ان تعود راكضا خلال العاصفة ؟

فأجابها بحنق : انني اشعر بالدفء ولن اصاب ببرد . كم اتمنى ان تكفي عن الشعور بالقلق الذي لا داعي له يا عمتي مارجريت . اما عن سبب عدم بقائي في القرية فذلك لانني اكرهها واكره كل من فيها ، اذ لا يمكن لاحد ان يجد مكانا اكثر كرها ووحشة منها لكي يعيش فيه ، حتى لو حاول البحث عما يشابهها مئة سنة قادمة اخرى .

فألقت الأنسة وايت فلاور حياكتها جانبا وهي تقول : كلانا يشعر بالاسى والانزعاج والوحدة يانيكولاس ، لذا ليس هناك من مبرر يدعونا لان يكون بعضنا فظا مع بعض ام ترى ان هناك سببا ما ؟

حينذاك استدار (نيكولاس) عن النافذة وهو يتمنى ان لا ترى عمته الدموع وهي تترقرق من عينيه، ثم قال : أنا آسف ، اذ لم يكن عليّ ان اقول ما قلته لك وذلك لعلمي بأن هذا المكان هو المكان الرخيص الوحيد الذي كان بأمكاننا العثور عليه ، لكنني لم أكن اتصور بأنه سيكون على هذا النحو المقيت ... فليس هنالك من احد لنتحدث اليه ، او عمل للقيام به، وهو من الصغر بمكان بحيث لا اجد فيه متسعا للحركة ، كم اتمنى لو انني اتمكن من التفكير بشيء ما اقوم به او ان اجد لي صديقا .

ردت عليه قائلة : لابد ان يكون هنالك في القرية شخص ما بمثل عمرك يانيكولاس ، فقط لو انك لم تكن خجلا الى هذا الحد ، لكنت قد وجدت الحياة اكثر سهولة ، ماذا عن تلك الفتاة ذات الشعر الاحمر والصبي الذي كان معها في المزاد يوم امس ؟ لقد وجدتها غاية في المرح ، اين قلت لي بأنها تقيم ؟

تورد وجه نيكولاس خجلا وهو يقول : لقد قلت لك انها تقيم في المتجر ، وان والدها هو السيد (هارمن) الذي اشترى الاريكة امس ، اما الصبي فأني لا اعلم من يكون ولكن كلاهما اكبر مني سنا •

ـ : حسنا قد تكون الفتاة اكبر سنا ولكنها ليست كبيرة جدا كما ان شكلها اعجبني وبما انها تقيم في هذه المنطقة فأنها تستطيع مصاحبتك لتتجولا فيها ، هل رأيت ذلك الصبي من قبل يانيكولاس ؟

ـ : كلا لم يسبق لي رؤيته من قبل ، أرجوك يا عمتي ان تتركيني وحدي ودعينا ننتقل من هذا المكان بأسرع ما يمكن كما اني أتمنى لو اننا لم نكن قد ذهبنا الى ذلك المزاد يوم امس •

ـ : وانا اتمنى ذلك مثلك ، فأنه من الخطأ محاولة استعادة شيء ذهب وولى لكنني كنت أظن بأن البعض من ذلك الاثاث القديم قد يباع بأسعار

زهيدة جدا فنشتري قسما منه ، خاصة واننا لن نعيش طوال حياتنا في غرف مفروشة للايجار ، تذكر يانيكولاس بأننا باقون هنا حتى تصفية كل ما يتعلق بالمانور • فأستدار الصبي الحزين نحو النافذة مجددا وفتحها ، كانت هنالك اصوات تصله من بعيد وهذا ما لم يكن مألوفا في ذلك الشارع المقفر ، لكنه كان يفكر في شيء آخر ، حيث قال نعمته فجأة : نحن لم نتكلم كثيرا حول موضوع يوم امس يا عمتي مارجريت ، ترى من تظنين ان يكونا ذلكما الرجلان اللذان ابتاعا الكرسيين واراد ان يبتاعا الاريكة ايضا ، لم كانا يرغبان بابتياع متاعنا القديم بتلك اللهفة ؟

ـ : اني لم افكر بهذا الموضوع كثيرا يا نيكوس لقد كانا فظين جدا وغير مرتبي الهندام ولم يسبق لي رؤيتها من قبل ، ولكن كل هذا ليس مهما ، اليس كذلك ؟ اني أود ان انسى كل شيء عن المزاد يانيكي، اعتقد ان احدهم يقف عند بوابة بيتنا الآن ؟

فاستدار نيكولاس ثانية نحو النافذة المفتوحة وقال بدهشة : انها الفتاة ذات الشعر الاحمر التي تعمل في المتجر ، يرافقها صبيان احدهما الصبي الذي كان معها أمس ، ترى ماذا عساهم يفعلون هنا ؟

ـ : القت الانسة وايت فلاور حياكتها على المنضدة وابتسمت ثم قالت : ربما جاءوا لزيارتنا يا نيكي ، فقد كنت أود أن التقي بالفتاة ذات الشعر الاحمر ، اليس كذلك ؟ أنصت لهذا الصوت .

عبر الباب المفتوح تناهى الى سمعهما صوت لطيف يقول : انه لمن الافضل أن تسألي عنهما يا جيني . أسألي عن الصبي اولا فهو في الواقع يمثل أهم ما تقوم عليه مغامرتك المقبلة .

تلا ذلك طرقتان حازمتان على الباب ، ثم سماع وقع اقدام السيدة (كويك سيد) على ارضية المدخل . فبادرتها جيني بالقول : أوه ... صباح الخير يا سيدة كويك نحن نرغب بمقابلة نيكولاس وايت فلاور بصورة عاجلة جدا . ولدى سماعهما ذلك نظر كل من نيكولاس

وعمته بعضهما الى بعض بدهشة ، وأثر ذلك اسرعت عمة نيكولاس بفتح الباب ، وقالت مخاطبة السيدة كويك

ـ : شكرا لك ، أرجوك ان تسمحي لصديقينا بالدخول فقد كنت اتمنى دائما لو انهما يقومان بزيارتنا .

فحبست السيدة كويك بوجه القطط الثلاث اللواتي كن يتدافعن حولها وتنحت جانبا لتدع الزائرين يدخلان، وبما ان نيكولاس كان منطويا على نفسه فقد تراجع نحو النافذة بينما كانت عمته ترحب بالزائرين ، وهي تقول : يبدو انكما تعرفان أسمينا ، فهل لكما أن تذكرا اسميكما لنا ؟ ثم خاطبت جيني وهي تصافحها : لقد رأيتك أمس في لودلو يا عزيزتي ، ما هو أسمك ؟

منذ الوهلة الاولى وجدت جيني نفسها تميل الى الانسة وايت فلاور وتحبها لان الحنان كان ماثلا في عينيها ، فأجابت على سؤالها قائلة : انني ادعى (جيني هارمن) ووالدي يمتلك متجرا ويديره هو نفسه وهو الذي ابتاع أريكتكم من المزاد امس وطبعا فنحن لم نكن

ندري انها تعود لكم حينذاك ولكن شيئا مهما جدا قد حدث مما جعلنا نأتي ونخبركم به .

ـ : اني شاكرة لكم هذا جدا يا جيني ، ولكن قولي لي اولا من عساه يكون هذا الصبي ؟

واتجهت الانسة وايت فلاور بنظرها نحو فتاة ذات شعر حريري كانت تقف خلف جيني مباشرة ، وقد كانت الاطول بين الصبيان الثلاثة ، كانت نحيفة ، منتصبة القوام ، ذات بشرة صافية وعينين زرقاوين وكانت رباطة الجأش ترتسم على محياها اضافة الى السلوك العفوي والطيبة وهي صفات من النادر ان يتحلى بها من كان بمثل سنها .

وقد ذكرت للانسة وايت فلاور اسمها قبل ان تخبرها به جيني : انني ادعى (بيترونيلا ستيرلنك) ولكن الجميع يدعونني بيتر . وانا اقيم مع والدي في الجانب الاخر من (لونك مند) وهذا هو (توم أنكلز) الذي يقيم مع عمه بالقرب من بيتنا ، لقد قامت جيني بأقناعي

أنا وتوم للمجيء الى هنا معها هذا اليوم ، فأن لديها شيئا ما تود ان تخبرك بـــه .

ثم نادت الانسة وايت فلاور على نيكولاس لكـــي يأتي ويحيي الضيوف ، ولم تنتبه للنظرة التي تبادلهـــا الصبيان الثلاثة ، فنفذ نيكولاس ، ما طلبت منه عمته بشيء من قلة الكياسة ، ومن ثم عاد الى النافـــذة من جديد .

ثم قالت الأنسة وايت فلاور متسائلة : هل يستغرق الامر الذي تودون اخبارنا به وقتا طويلا يا جيني ؟

: أجل ، فمن المحتمل ان نحتاج وقتا طويلا لان الامر في غاية السرية ، ثم القت على الباب المفتوح نظرة ذات معنى وقالت ، هل انني لو تكلمت بهدوء فلن يسمعني أحـــدا ؟

فأجابتها عمة نيكولاس وهي تحاول ان لا تبدو الدهشة على محياها قائلة : بأمكانك ان تتكلمي هنـــا بحرية ، وانا واثقة من السيدة (كويك سيد) سوف لا

تنصت ، كما انها الآن تقوم باعداد طعام الغداء لنـــا في المطبخ ، والآن ماذا لديك لتقوليه لنا ؟

بعد ان اخذت جيني نفسا عميقا نظرت الى توم لكي تستمد منه بعض التشجيع وابتدأ حديثها : ان الامر هو كالآتي يا آنسة وايت فلاور ، لقد التقيناك في المزاد أمس . لكننا لم نكن نعرف من تكونين الا بعد مغادرتك المكان ، وبينما كنا أنا وتوم نقوم بتنظيف الاريكة يوم أمس ، اكتشفنا بأن هناك حيزا بين المقعد الجلدي وظهر الاريكة ، فقال لي توم بأن شتى الانواع من الاشياء من الممكن ان تكون قد انسلت في ذلك الحيز ، ويبدو ان هذا هو فعلا ما قد حصل فقد عثرت على العديـــد من المخلفات ، فضلا عن بعض الاوراق القديمة وهي عبارة عن جزء من رسالة ، وبما ان الاريكة كانت ملكا لعائلة وايت فلاور فقد تبادر الى ذهننا بان الرسالة من المحتمل ان تعود لاحد افراد العائلة وقد وجدنا بان الغموض يكتنف محتواها لذا حضرنا اليك لكي تساعدينا في اماطة اللثام عنها وفي الوقت نفسه لكي نقدم لك يد العـــون فيما لو كان هناك حاجة تدعو لذلك .

فقاطعها بيتر قائلة : ارجو ان لا تسيء الظن بنا وتعتقدين بأننا تتدخل فيما لا يعنينا يا آنسة وايت فلاور .. كما نريدك ان تعرفيه هو اننا نود ان نساعدك بأي شكل من الاشكال فنحن يسرنا القيام بذلك ، كما ان لدينا ثلاثة اصدقاء اخرين سيلتحقون بنا في العطلة الصيفية ومجموعتنا هذه تمتلك حقا الكفاءة اللازمة لمساعدة الاخرين ، وحل ما غمض من امورهم . وكل ما تمكنت عمة نيكولاس ان تقوله هو : شكرا جزيلا يابيترونيلا .

ومن ثم القى توم على نيكولاس الذي لم يستطع ان يميل اليه مطلقا ، وقال : اذا كنت يا آنسة وايت فلاور لا تعتقدين ان تدخلنا في هذا الموضوع هو عمل غير لائق فهل لديك مانع من ان تخبرينا فيما لو كان لديك سبب محدد جعلك ترغبين في الحصول على تلك الاريكة القديمة ما عدا كونها من ضمن الاثاث العائد لبيتكم القديم ؟

حينئذ تقدم نيكولاس نحوهم وهو يخاطبهم بانفعال : لماذا لا تقوموا جميعا بغلق الموضوع حول

منزلنا ، اذ لا علاقة لاحد بالامر بأستثنائنا ، عمتي وانا .
اما اذا كان بحوزتكم اوراق تعود لنا فلم لا تسلموها لنا وتغادروا المكـــان ؟

على اثر هذا الكلام المهتاج . خيم صمت مريع . قطعه صوت الانسة وايت فلاور الذي خرج مهتزا وهي تقول : ينبغي عليك ان تشعـــر بالخجـــل مـــن نفســـك يا نيكولاس ، دعوني أقدم لكم اعتذاري نيابة عنه ... ولكي اجيب على تساؤلكم ، اخبركم بأنني علمت ان بعض الاثاث العتيق الذي يعود للسانور سيتم بيعــه في المزاد ، لذا ذهبت الى هناك ، لانني وددت ان اقتنـــي بعضا من تلك القطع بثمن زهيد . وذلك لكي اؤثث بها البيت الصغير الذي اتمنى ان اعده لينكولاس حالمـــا تستتب امور حياتنا . وكنا سنفرح كثيرا لو أننا حصلنا على البعض من اثاث بيتنا القديم ذلـــك ، كالاريكـــة والكراسي التي تشكل معا طقما كان في يوم ما من بعض متاع الغرفة العائدة لمدبرة منزلنا ولم يستعمل هذا الطقم سنوات عديدة ، هل ان الرسالة التي عثرت عليها ياجيني موجهة الى احد افراد عائلة وايت فلاور ؟

ـ : كلا انها ليست كذلك ، فنحن نجهل لمن هـي موجهة ، لكننا ارتأينا بأنك ونيكولاس ينبغي ان تعلما بها ... هل تودين انت قراءتها ؟

قالت ذلك وهي تمد يدها بالصفحات المجعدة للرسالة الصفراء .

فهزت الانسة وايت فلاور رأسها نفيا وقالت : كلا يا عزيزتي ؛ بل اقرأيها انت لانك من عثر عليها وكان شعورا لطيفا منك أن تفكري بنا ، تعال هنا بقربي يانيكولاس . فتورد وجه جيني وتلاحقت انفاسها من فعل هذا الموقف المثير ، ثم فتحت طيات الورق وبدأت تقرأ : « لقد فعلت ما طلبت مني ولكنك الآن قد خيبت ظني فيك لانك رحلت بعيدا ولم تعد مع انك وعدتني بالعودة الى هنا ، لقد انتظرت وانتظرت من دون جدوى والآن ها انت قد ذهبت بعيدا اسبوعا باكمله . لِمَ لمْ تخبرني بأنك كنت تنوي ان تذهب بعيدا عني ؟ ؛ هل كنت خائفا ؟ أنا التي اصبحت خائفة الآن ، لقد قام رجال الشرطة باستجوابي مرتين وعلى الرغم من ان

السيدة وايت فلاور ما تزال تثق بي . الا انني متوجسة خيفة من المخبر السري . فأنا أخاف من نظراته الي . لكن الناس هنا يقولون بأن الجنرال وايت فلاور سيطلب منه الرحيل قريبا . ذلك لانه لا يحبذ اجراء اي شيء قد يكدر صفو ضيوفه . الذين كانوا في الحفل . الا انني واثقة من ان الرجل يراقبني بأستمرار كما لو انه يعلم علم اليقين ، بأن الأشياء هي فعلا مخبأة لدي . وقد قامت الشرطة بتفتيش جميع غرف المنزل بما فيها غرفتي ، ولما عاد ذلك المخبر الى غرفتي ثانية لم يفسح لي المجال سوى لاخفاء هذه الورقة وقد قرر ان يجتمع جميع من في المنزل في الصالة هذه الليلة . وباعتقادي فان هذا الامر لا يعدو يكون لعبة من الاعيب هذا المخبر لانني اعتقد بأنه سيقوم بتفتيش غرفتي بينما الوذ في الصالة ، لو أنني اعلم فقط اين انت الآن ، لكنت قد ارسلت لـك هذه الاوراق بالبريد . ولو انك لم تكن قد وعدت بان تأخذني بعيدا عن هذا المكان . لكنت قد اعدت الاشياء الى غرفة السيدة ثانية ، على الرغم من انها تبدو اجمل على رقبتي مما هي على رقبتهـا ... والآن فقد عاد

الخوف يتملكني ثانية وقد أمطرت السماء هـذا اليوم بأكمله والعاصفة على اشدها وبامكان اي شخص هنا ان يسمع صوت النهر وهو يهدر عبر الممر . لو انك فقط كنت هنا لما كنت اشعر بالخوف كما هـو حالي الآن . لست ادري اين سأخبيء العقد الآن ، لم ذهبت بعيدا ؟ اين يمكن لي أن اضعه بحيث لا يتمكن ذلك المخبر من العثور عليه ؟ فأنا لا اجرؤ على تركه هنا في المنزل . لذا سأخرج الآن في العاصفة واضعه حيث توجد المياه ...»
وهنا قالت جيني : هذا كل ما هو مكتوب على هـذه الورقة وليس هناك من تاريخ او عنوان مكتوب عليها، كما ان الخط يضطرب قليلا في اسفل الورقة كما لـو ان كاتبها قد قوطع او افزع من قبل شخص ما ، وبغض النظر عمن تراه يكون كاتبها فأنه يظهر بوضوح كيف انه كان يرتعد خوفا وهو يكتبها . الا تعتقديـن ذلـك يا آنسة وايت فلاور ؟

ذلك يا آنسة وايت فلاور ؟

تناولت الأنسة وايـت فـلاور قصاصة الورقة القديمة وأجالت نظرها عبر سطورها ، بينمـا كـان

نيكولاس ينظـر الـى الورقة من فوق كتفها ، بعـد برهة قصيرة ، قامت بأرجاعها الـى جيني . وهي تقول: أني شاكرة لـك صنيعك ... فأن ما قد عثرت عليـه في الاريكة القديمة العائدة لغرفة مدبـرة منزلنا لهـو علـى قدر عظيم من الاهمية . ذلك لان عائلتي قـد قامت بالبحث عـدة سنين مـن دون جدوى عن أيـة رسالة قـد تكون قـد كتبتها تلـك المرأة التعسـة (هربيت براون) . لو أننا فقط كنا تتمكن من العثور علـى الصفحة الاخرى من الرسالة أو على أي أثر آخر يهدينا الى المكان الذي خبأت فيه هربيت ماسات عائلة وايت فلاور والتي قامت بسرقتها مـن مخدومها . فأنه سيمكن لنـا حينذاك معرفة مكان العقد نفسه ، هـل أنت واثقة يا جيني من أنه لا يوجد هناك المزيد مـن الاوراق في تلك الاريكة ؟ وهل يمانع والدك فيما لو أنك قمت بالبحث مجددا فيهـا ؟

هزت جيني رأسها مؤكدة بأن والدها لن يمانع في ذلك ثم أندفعت بيتـر الـى الامام وهـي تقول : نعدك . بأننا جميعا سنساعدك يا آنسة وايت فلاور ،

وليس عليك الا أن تضعي ثقتك فينا كما أود أن أذكرك بأن لدينا أصدقاء آخرين يوشكون أن يقدموا الـى هنـا ومن المحتمل بأنهم سيصلون الى (شروب شاير) هذه الظهيرة أو غدا وهم مستعدون لان يتعاونوا معنا٠

وقبل أن تتمكن الانسة وايت فلاور من أن تجيب، أكملت جيني قائلة : نحن لا نعرف الكثير عن موضوع الماسات أو قيمتها ، لكنني أفترض أنها ستكون ذات فائدة كبيرة لك ولنيكولاس فيما لو أنتـا عثرنا لكما على ذلك العقد الذي يعود لعائلتكما ، أليس كذلك ؟ وهل أنتما متأكدان من أنـه ما من أحد بأمكانه أن يدعي ملكيته لذلك العقـد ؟

أبتسمت الآنسة وايت فلاور بينما كانت تجيب علـى السؤال : بالتأكيد يا جيني ، ليس هنالك مـن أحـد يستطيع أن يدعي ملكيته للعقد ، ذلـك لأننا نحـن فقط بأمكاننا أن نثبت بأن الماسات قد سرقت من والدة نيكولاس منذ أربعين سنة مضت ، وفيما لو تم العثور عليها الآن فأنها ستكون من حق نيكولاس ٠

وفجأة صفر توم بدهشة ، بعد طول صمت . ثم أتبع ذلك بقوله : يا للروعة . ذلك ما كانت ستقولـه عمتي لو أنها كانت معنا الآن ، ياللروعة حقـا . كيف أن مجموعة رائعة من الماسات ستكون ملكا لنيكولاس وحــده .

الفصل الرابـع

« البوابات السـبع البيـض »

النصل الرابع :

« البوابات السبع البيض »

كان انطريق ، وراء كوخ السيدة (كويك سيد) يتواصل صاعدا مـع الكتلة الهائلة لجبل (سـتبر ستونس) الى جهة اليمين . وقد كان هذا الجانب من الجبل شديد الانحدار ، صخريا وصلدا . أما الطريق الوحيد السالك والممكن تسلقه للوصول الى (كرسي الشيطان) ، أي قمـة الجبل ، فهو ذلك الذي يؤدي الـى واد مخيف يدعـى بأسـم (بلاك دنجـل) . وما بين (دنجـل) هـذا والطـريق العـام كـان يكمن حقل قديم خلف غابة من أشجار الصنوبر ،وكان اسـم الحقل مشـيرا ، حقل (البوابات السبع) ، وكان يملكه عم بيتر ، وهو رجل كبير السن ، غريب الاطوار يدعى (ميكـا ستيرلنك) ، وكان مولعا جـدا بجماعة

(لون باينرز) ، لهذا سمح لهم بأن يتخذوا من أحد المخازن معسكرا لهم ، وذلك في فناء الحقل .

في ظهيرة اليوم التالي للزيارة التي قام بها الاصدقاء الثلاثة لكوخ السيدة (كويك سيد) ، كان جميع أفراد جماعة (لون باينرز) قد تجمعوا وراحوا يقودون دراجاتهم المحملة بمتاعهم متجهين بها الى أعالي التل ، كانت بيتر في مقدمتهم والى جانبها (ديفيد مورتن) ، وعلى عادتها كانت تطل بطلعتها البهية وأبتسامتها العريضة ، وعلى أمتار قليلة منهما تبعتهما جيني وهي تقود دراجتها وتثرثر ، لكن مرافقيها التوأمين ولدي السيد مورتن لم يكونا يعيراها كبير أنتباه ، وفي الموخرة كان يلحق بهم ، الكلب الاسود الصغير (ماكبث) أو (ماكي) الذي كان يرزح تحت وطأة حرارة الجو ومثله كان التوأمان يشعران بثقل دراجتيهما .

كانت جيني تخاطبهما قائلة : ذلك هو الكوخ الذي يسكن فيه الصبي نيكولاس ، وعندما تلتقيان

بـه ، فبأمكانكما التحدث اليه قدر ما تشاءان . على أية حال فأننا سنذهب لزيارته هو وعمته هذه الظهيرة، ولكن قبل ذلك علينا أن نعقد أجتماعا لجماعتنا لكـي أخبركم بكل شيء ، ولكن تذكرا بأنه لن يكون أجتماعا متكاملا لان توم لم يحضر بعد ، لكنه سيأتي الى هنا في أقرب وقـت ممكن ، أرجوك يا ديكي ، لاتحدق هكـذا بكوخ السيدة دكويك . وأسرع بالمسير لاني لا أريدهم أن يرونا .

فتوقف ديكي وكذلك ميري وماكبث وجلسوا لينالوا قسطا من الراحـة ، على الطريق الذي يقـع خارج بوابة كوخ السيدة كويك سيد .

ثـم قال ديكي مخاطبا جيني : ألن تكفي عـن محاولاتك لتزعمنا على هذا النحو ، وأن تلاحظي كـم نحن مرهقون ، جراء الجهد الذي بذلناه ونحن نتسلق نحو أعالي هذا التل .

ثم أكملت أخته ميري كلامه متذمرة : لقد عودتنا أن تكوني دائما الى جانبنا يا جيني . وبينما هم على هذا الحال ، أذ بهـم يسمعون ديفيد يناديهم قائلا :

اسرعوا بقيادة دراجاتكم لكي نصل الى حقل البوابات السبع ، لانني أريـــد أن أتناول العشاء ، كما أنه لدينا الكثير مما يتوجب علينا القيام بــه حالما نصل هناك .

وهكذا أتجهت مجموعة (لون باينز) الى الحقل ذي البوابات السبع البيض ثانية ، وفي طريق العودة أقترح ديفيد على بيتـــر أن يقودا دراجتيهما الى الحقل حيث يقومان بأفراغ أمتعتهما ومن ثم يذهبان الـــى بيت عمة وعم (بيتر) ، ثم قال وهو ينزل عـــن كتفيه حقيبـــة ظهر ثقيلة : سنشرع أنا و ديكي بتفريغ حمولة الدراجات ، أما أنتم فأذهبوا الـــى البيت لا علامهم بوصولنـــا .

لـــدى وصولهم بيت السيدة كارول عمـــة بيتر أستقبلتهم مرحبة بصوت مرح وبادرتهم قائلة : أهلا بكم في البوابات السبع ، ولكن أين توم يا جيني ؟

ــ : انـــه منشغل ياسيدة ستيرلنك وذلك لانـــه يعمل في حقل عمه ومن المؤمل أن ينضم الينا في غضون يـــوم أو يومـــين .

ثـم واصلت السيدة ستيرلنك قائلة : أود أن اخبركم بأن الجو حار جدا هنا بحيث لن يكون هناك مـن داع لا يقـاد المدفئـة القديسـة لكنكم طبعـا ستستخدمون المطبخ وأنا قـد احضرت لكـم خبزا وحليبا وأنتم تعرفون اين يمكنكم أن تجدوا المنضدة القديسة والمصاطب والاواني الفخارية . أمـا الآن فأني سأترككم لكي تتمكنوا مـن ترتيب حاجياتكم .

كانت المجموعة قد جلبت معها الكثير من الطعـام والفاكهة وفي الوقت الذي عاد العم (ميكا) من المزرعة ليتناول غذاءه ، كانوا هم قد بدأوا بتناول وجبتهم تحت اشعة الشمس خارج المخزن .

كان العم (ميكاستيرلنك) طويلا ونحيلا ويكبر زوجته سنوات عدة ، وكان مولعا جدا ببيتر التي كانت ابنة اخيه الوحيدة . كما انه كـان مسحـورا دائمـا بالتوأمين اللذين حياه بجذل ، وبصوته الجاد الهادىء النبرات قال وهو يخاطب المجموعة : ارجو منكم فقط أن لا توقدوا نارا داخل المخزن وبخاصة في هذا الموسم

وما عدا هذا فبأمكانكم ان تقوموا بأي شيء ترغبون فيه ، فأنتم هنا دائما على الرحب والسعة .

حالما اصبحوا وحدهم ، بعد ان انهوا وجبة طعامهم ، قال ديفيد : دعونا نؤجل غسل الصحون بعض الوقت لكي نتفرغ للعمل الاهم فنحن نود ان ننصت الى ما تدور الضجة حوله هنا ، فلماذا لا تخبرينا به يا بيتر ، فأنا لم اعهدك بهذا الغموض من قبل ؟

فأجابته بيتر الى طلبه قائلة : دعونا نتسلق الى مخزن القسح فأنه مكان اكثر عزلة ، وعلى اية حال فأن ما سأخبركم به ليس الا مغامرة من مغامرات جيني ، فهي التي ابتدأتها وطلبت مني ان اعدها بعدم اخبارك او اخبار التوأم بأي شيء حتى يتم تحديد لقاء مناسب لنادينا . راق هذا الكلام ميري فقالت : نحن موافقون تماما على عقد مثل هذا الاجتماع فهو الذي سيجعلكم لا تخطون خطوة واحدة من غيرنا .

ثم اتجهوا نحو مخزن القسح الذي كانت تقع في نهايته البعيدة ، وتحت الجملون مباشرة نافذة متربة

توجد تحتها كومة من القش ، اعتادت بيتر ان تنام عليها وقت القيلولة كلما كانت تأتي لزيارة البوابات السبع، وبعد ان تربعوا جميعا على كومة القش تلك قامت جيني بمسح التراب من على زجاج النافذة ثم تكلمت مخاطبة رفاقها : بأمكانكم ان تشاهدوا من هنا ذلك الديك على برج الكنيسة ، ومع ان الغابة تحجب كوخ السيدة (كويك سيد) ، فأنه سيكون من الضروري بسكان ان نقوم بنصب تلسكوب هنا في المخزن المرتفع.

كان ديفيد متكئا على آجر الحائط المائل للمخزن وهو يداعب (ماكبث) الذي كان يدور حول كومة القش ثم قال مخاطبا جيني : أسرعي بأخبارنا عن القصة والا فأني اوشك ان اغفو هنا ، ترى عن ماذا تدور قصتك ؟

اجابته جيني : على الرغم من ان هذا لا يعد اجتماعا متكاملا لمجموعتنا ذلك لأن توم ليس معنا ، الا انه ليس عندي من مانع لان اخبركم بكل شيء اذا ما اصغيتم لي ، كذلك اذا لم يقم التوأمان بمقاطعتي بأستمرار .

بعدئذ . بدأ ديفيد بطرح العديد من الاسئلة وهي (كيف يمكنك ان تصبري على كتمان الامر عنا ؟ هل ان الانسة وايت فلاور تعتقد حقا بان لديها املا في العثور على العقد بعد مرور كل تلك السنين على سرقته ؟ ، هل ان الرسالة العائدة لتلك المرأة تعطي اي فكرة عن المكان الذي قامت باخفاء العقد فيه ؟ ، واين عساه يكون ذلك المكان ؟ . وقبل كل هذا وذاك اين حدثت كل هذه الامور ؟

فوعدته بيتر قائلة : بأمكانك ان توجه كل هذه الاسئلة قريبا يا ديفيد وان تشاهد الرسالة ايضا ، فأنا وجيني وتوم قد قررنا بانها ستكون فكرة حسنة ان نعد الانسة وايت فلاور بالمساعدة وكذلك اخبرنا بأنك قادم الينا اليوم وهي تفكر بالامر مليا مع نيكولاس ومع ان والد جيني قد اشترى الاريكة فأننا راينا ان من الواجب ان تأخذ تلك الرسالة ونريها لعائلة وايت فلاور ، وما من أحد منا يعلم اي شيء عن الـ (برنك وودمانور) لكننا سنجده على الخارطة واقرب قرية منه هي (برنك وودجيس) التي تبعد زهاء ثمانية اميال عن لودلو .

ثم تساءلت ميري قائلة : ترى كيف يبدو هذا الصبي نيكولاس ؟ وعلى الرغم من ان مغامرة الماسات هي نوع جديد من مغامرات مجموعتنا الا انني وديكي يحلو لنا التغيير من آن الى آن ، أخبرينا كل شيء تعرفينه عن نيكولاس يا جيني ، كم يبلغ عمره ؟ فنحن لا نريد ان نضم اي عضو جديد الى نادينا لان عددنا يكفي اليس كذلك يا ديكي ؟

ايدها ديكي قائلا : طبعا ، ولكن هل تعتقدين حقا يا جيني بأنه من الممكن ان يكون هناك عقد ماسي قيمته ملايين وملايين الباونات وهو مخبأ في مكان ما ولم يعثر عليه احد وانك انت فقط من حصلت على الدليل الوحيد على وجوده ؟

ـ : اجل هو كذلك ، ان الامر حقا على درجة كبيرة من الأثارة •

فأعادت ميري تساؤلها • وماذا عن نيكولاس ؟

وهنا أجابتها بيتر : اعتقد بانه يجب ان اخبركم منذ الآن بأنكم قد لا تشعرون بالميل نحوه وكل ما

يسكننا قوله لكم هو انه يبلغ حوالي الثانية عشرة من عمره وهو ذو شعر ناعم جدا ، كما انه فظ في تعامله مع الناس ، وخاصة بالامس حيث انه لم يكن ودودا ابدا ، ولكن ذلك قد يكون مبعثه الشعور بالخجل والحزن ، كما تقول جيني ، وعلى أية حال فأن امه توفيت منذ مدة قريبة ، عسوما اعتقد بأننا نوشك ان نقوم بعمل شيء ذي اهمية كبرى .

فأيدها ديفيد بقوله : اعتقد ان الامر مثير حقا ، ولكن ماذا عن الانسة وايت فلاور ؟ كيف تبدو ؟ كما ان هناك شيئا اخر يا جيني اود قوله وهو انه من المؤكد لو اننا استطعنا العثور على الجزء الاخر من تلك الرسالة ـ اي الاوراق ـ فأنه سيصبح لدينا دليل افضل عن المكان الذي خبأت فيه تلك المرأة العقد . قالت جيني : انك حتما ستطلع على الرسالة يا ديفيد ، ومن المؤكد لو استطعنا ان نعثر علي اي شيء آخر كتبته تلك المرأة ، فانه سيسهل علينا الامر كثيرا ، لكنني واثقة من عدم وجود شيء اخر في اريكتنا ، وحسب ظني فأنه من المحتمل ان تكون تلك المرأة قد

خبأت تلك الورقة هناك عندما قاطعها احد ما ثم حدث شيء خطير جدا ، دفعها للخروج مهرولة في اوج العاصفة ولم يراها احد بعد ذلك ثانية ... اما عن الانسة وايت فلاور فهي لطيفة جدا هادئة ومتقدمة في السن وهي آخر من تبقى لنيكولاس من اقارب على قيد الحياة .

فقال ديكي على الفور : دعونا نذهب لرؤيتها ورؤية نيكولاس .

وافقه ديفيد مؤيدا وهو يقول : هيا بنا نذهب .

بعد مرور نصف ساعة اصبح كوخ السيدة (كويك) على مرمى بصرهم فشاهدوا نيكولاس جالسا فوق سياج الحديقة تحت اشعة الشمس ، فلما اقتربت من بيتر بادرته قائلة : دعني اقدم لك صديقنا ديفيد مورتن ان عمتك تتوقع مجيئنا ، اليس كذلك يانيكولاس ؟

وانت يا ديفيد دعني اقدم لك نيكولاس وايت فلاور الذي سبق ان اخبرناك عنه . فأومأ نيكولاس برأسه يحييه وقد بدا عليه انه يبذل جهدا بالغا لكي يبدو ودودا معهم ثم قال : اجل طبعا فأن عمتي تتوقع

حضوركم وقد كنا نوشك أن نتناول الشاي في الهواء الطلق ، لذا رأيت انه من المناسب ان انتظركم هنا .
وفيما بعد وصل كل من جيني والتوأمان ونظر الاخيران الى نيكولاس ثم نظر كل منهما الى الاخر فلمحت جيني النظرة التي تبادلاها وقالت على الفور : ها نحن هنا كما ترى وكما وعدناكما يا نيكولاس .

فأومأ نيكولاس برأسه ثانية وهبط عن السياج ثم تقدم نحو التوأمين وخاطبهما قائلا : ما أسميكما ؟ أنا ادعى نيكولاس وايت فلاور وأظن ان جيني قد أخبرتكما بكل شيء عني .

فأبتسمت ميري له ، ثم سرعان ما خرجت الآنسة وايت فلاور من البيت لترحب بهم وتقول : لقد هيأت كل شيء وحسب علمي فأن جيني تعرف مكانا قريبا من هنا يصلح لنذهب اليه في نزهتنا كي نتناول الشاي فيه، ذلك لان لدينا الكثير مما سنتحدث فيه في حين لا يوجد في الكوخ متسع لنا جميعا ، والآن هل نبدأ جولتنا ؟

وافقوا جميعا على اقتراحها وبعد عشر دقائق كانوا يجلسون تحت ظلال شجرة بلوط في اعلى الحقـل ، قبالة كوخ السيدة كويك . وبينما كانوا يتناولون فطائر الكعك ويحتسون الشاي والعصير اخبرتهم الآنسـة وايت فلاور ثانية بقصة هربيت براون والعقد المسروق وأطلعتهم على الرسالة التي عثر عليها جيني وتـوم في شق الاريكة ، ثم قالت بهدوء : أنني اعتقد بان هذه الرسالة هي كل ما كتبته هربيت براون ومن المحتمل ان رجال الشرطة عند مباغتتهم لها وهي في غرفتها قامت بأخفاء الاوراق في الاريكة ولسبب ما : لن يعلم به احدا غادرت المنزل وقت العاصفة . وباعتقادي فأن الماسات لن يعثر عليها مطلقا ، على الرغم من ان والد نيكولاس واخرين من عائلتنا كانوا دائما يعتقدون بان الماسات لا تجد طريقها للبيع في أي سوق ومن الممكن ان تكون مخبأة في مكان ما في المانور او الارض المحيطة به ، فما هو رأيك في كل هذا يا ديفيد ؟

فأعاد لها ديفيد الرسالة ونظر الى بيتر وابتسـم قائلا : انني اعتقد بأن هذه القصة مدهشة حقا يا آنسة

فلاور واذا ما سمحتي لنا وسمح لنا ذوونا بالبحث عن الماسات ، فاننا سنعمل على مساعدتك ، لقد جئنا الى شروب شاير لقضاء خمسة او ستة اسابيع ، وقد اخبرتنا بأن منزلكم القديم ،المانور ، يتم هدمه الآن ، ولم يسبق لاحدنا ان شاهده او شاهد الممر .

وعنا أنبرى نيكولاس قائلا : دعوني أريكم اياه. فقد كنا نسكن هناك ولن يكون بأمكانكم ان تفعلوا أي شيء ذي بال من دوني .

فقال ديفيد : اقترح ان نذهب جميعا الى هناك غدا على دراجاتنا ، واذا كان ممكنا فسنأخذ متاعنا من البوابات ونخيم بالقرب من المانور لكي تتمكن من رصد كل ما يدور من امور ، فعلى سبيل المثال افرضوا ان العقد مخبأ في المنزل وان عمال الهدم عثروا عليه. فما الذي يمكن حدوثه حينذاك ؟

فقالت بيتر تذكره : ولكن الرسالة تنتهي بالكلمات .. حيث توجد المياه ، لذا فأن من المرجح ان يكون ذلك المكان صهريجا او اي شيء من هذا القبيل .

فاومأت الآنسة وايت فلاور برأسها دلالة الموافقة وهي تقول : من المحتمل أن تكون هنالك أماكن أخرى لأخفاء الماسات بأستثناء خزان الماء الموجود في أعلى المنزل ، ولكن من المؤكد بأن (هربيت) قد ذكرت شيئا ما عن خروجها من المانور ، وعلى أية حال فأنا أعتقد بأن فكرة ديفيد ، عن ذهابكم الى برنت وود غدا هي فكرة صائبة ، لانكم ستشاهدون المانور عن قرب ، كما أن نيكولاس سيريكم الامكنة المحيطة به ، وهناك الكثير من الاماكن الرائعة التي تصلح لاقامةمخيمكم على امتداد النهر ، ولكن ماذا عن صديقك توم ياجيني؟

أجابت جيني : اذا كان عمه ينوي البدء بالحصاد فأن على توم أن يبقى معه ليساعده يا آنسة وايتفلاور، وعلى أية حال ، نستطيع أن تتصل به هاتفيا متى شئنا ، مع ذلك ربما سيمنحه عمة السيد أنكلز أجازة اذا لم يكن محتاجا لمعونته .

نظرت الأنسة وايت فلاور الى ديفيد وقالت : انكم طبعا ستأخذون نيكولاس معكم فهو لديه دراجة ومستلزمات اقامة المخيم أيضا •

فأجابت بيتر على الفور : طبعا سنأخذه معنا ، فنحن لن نتمكن من أستكشاف برنك وود على أتم وجه من دونه ، ولكن علينا أن لانحدد وقتا ثابتا لاقامة المخيم حتى ننتهي من مشاهدة المكان ونعرف الموعد الذي سيتم فيه البدء بهدم المانور • وقبل أن يتهيأ الجميع لمغادرة مكانهم تحت شجرة البلوط ، أخبرتهم الانسة وايت فلاور بأنها ستحتفظ بالرسالة في مكان آمن ، بعد أن تعد لهم نسخة منها ، ثم طلبت من بيتر أن تحدثها أكثر عن البوابات السبع ، وأطلعتها على رغبتها في أن تلتقي عمتها كارول قريبا •

ثم عادوا جميعا الى الكوخ وهناك قال لهم نيكولاس معتذرا : أود أن أقول لكم شيئا وهو أنني اعتذر عن فظاظتي معكم عندما التقيتكم أول مرة وعلى

وجه الخصوص مع جيني التي سأبلغها اعتذاري غداً ، هـذا اذا سمحتم لي بالمجيء معكـم لانني أرغب في هـذا حقـا •

فهتفت بيتر : هاي ، ان هذا يكفي يا نيكولاس ونحن نرغب برؤيتك غدا •

فأجابها نيكولاس بأبتسامة،ثم ودعوه هو وعمته•

الفصل الخامس

« الممـــر »

كانت بيتـــر أول من استفاق من النوم في صباح اليوم التالي وبدأت بأستنشاق رائحة الاعشاب العبقة في فنـــاء حقل البوابات السبع وعندها تذكرت بأنهـــا واصدقاءها يعسكرون في مخيم ، ثم نظرت الى ساعـــة يدها التي كانت تشير الـــى السابعة الا عشر دقائق . فجال في ذهنها خاطر يدعوها الى الذهاب الـــى منزل عمتها كي تتناول معها كوب من الشاي . وفعلا تسللت بهدوء مـــن خيمتها بعد أن أرتدت ملابسها بأقصى مـــا أستطاعت مـــن سرعة وأنطلقت نحو منزل عمتها .

وحينما وصلت اليه بادرتها عمتها قائلة : لقـــد خرج عمك فأصعدي الى فوق لكي تغتسلي قبل تناول الشـــاي .

بعد أنقضاء نصف ساعة على بقائها مـــع عمتها ، اذا بالتوأمين يدخلان عليهما وهمـــا في ملابس النوم ،

وبعد دقائق قليلة تبعهما ديفيد أيضا ، وحالما أنتهوا من تنــاول الفطور ، قاموا بأعداد بعض الشطائر ، في حين كان ديفيد عاكفا على دراسة خريطة أمامه ، وكان مبينا عليها مخطط لـ (برنك وود مانور) وكذلك الممــر .

وقد ظهر على ديفيد شيء مــن القلق وهو ينظر الى المسافة الشاسعة ما بين (بارتون) و (برنك وود) ، لذا عندما رجعوا الــى مخيمهم بــدأ يناقش هــذا الموضوع مــع بيتــر التي قالت . أنها ليست بعيــدة جدا عن (وجيند) أو (أنكلز) فأذا لم تتمكن مــن العودة الى هنا الليلة فأننا سنحل ضيوفا في منزلكم ، أليس كذلك ؟ وعلينا أيضا أن نصطحب التوأمين معنا لاننا لا نستطيع تركهما هنا وحدهما في هــذا المكان الشديد الحرارة : فدعنا نتحرك منــذ الان .

ثــم ودعــوا العمــة كارول وبدأوا يسحبون عجلاتهم فوق الطريق الواقعة على امتداد شجر الصنوبر حتى الشارع العام حيث كان نيكولاس ينتظرهم جالسا فــوق عجلته التي أسندها الــى سياج حديقة منزل

السيدة (كويك سيد) . فأستقبلهم بحرارة ثم أتجه بحديثه الى ديفيد قائلا : بودي أن أسلمك هذه النسخة من رسالة هربيت براون التي أستنسختها لكم في الليلة الماضية قبل ذهابي الى الفراش ، وقد أحتفظت عمتي مارجريت بالنسخة الاصلية لديها ، وبما أنكم أخذتم هذه المهمة على عاتقكم فمن الاحرى بكم أن تحتفظوا بهذه النسخة ، فأخذها ديفيد منه شاكرا ووضعها في أحد جيوب محفظته ، ثم توجهوا نحو قرية (بارتن بيج) حيث أصطحبوا جيني معهم ، وبعد ذلك سلكوا بعجلاتهم الطريق الذي سلكه والد جيني . السيد هارمن ، مع أبنته وتوم قبل مضي يومين . كانت الساعة تشير الى الواحدة الا عشر دقائق عندما قال ديفيد نينكولاس :

ـ أين ستأخذنا أولا يا نيكولاس ؟ عليك أن لا تنسى بأننا يجب أن نلقي نظرة على المانور بأسرع وقت ممكن لانه يوشك أن يهدم .

فوافقه نيكولاس على رأيه قائلا : حسنا ، أتركوا عجلاتكم هنا . حيث سنبدأ بتناول طعامنا أولا ومن

ثم سأريكم الممـــر ، أما المانور فأنه يقع في الاعلى وعلى الجانب الآخر وليس بأمكانكم رؤيته من هنا ، فالمسلك الوحيد اليه يقع على هذا الجانب مـــن النهر الذي لا يستطيع أحـــد عبوره الا اذا أستخدم الجسر القديم .

ثم قادهم سيرا في طريق شديد الانحدار ، تحت شبكة كثيفة الاشجار حتى وقعت أعينهم على النهـــر أمامهم ، وعلى بعد خمسين ياردة تقريبا والى يمينهم كان هناك جسر يقطع الممر وهو مثبت بواسطة ثلاث دعائم حديدية هائلة ، ثم بدأ ديفيد بتسلـــق احـــد المسالك الوعرة لكي يصل الى الجسر وتبعه الاخرون، لكن نيكولاس قال محذرا :

ـ خذوا حذركم فهنـــاك قناة مائيـــة وليـــس بأمكانكم ان تصعدوا الى ذلك الجسر ، اذ ليس هناك من طريق سالك في الاعلى . كما ان السياج الحديدي شائك .

وعند وصولهم الى احدى نهايات الجســـر قال ديفيد : اني اتساءل ما اذا كانت تلك الانابيب هنـــا

عندما سرق العقد ، فقد كانت الكلمات الاخيرة في رسالة هربيت تقول .. حيث توجد المياه ، اليس كذلك ؟ فهل يا ترى خبأت العقد بالقرب من هنا ؟ وماذا عن دعائم الجسر في تلك النهاية الاخرى منه ، يانيكير ؟

فأجاب نيكودلاس محاولا التوضيح ، انها تقع على امتداد التل في جزئه الذي يقع حول منزلنا . ومن ثم تنحدر نحو الباب الآخر ممتدة عبر الغابة وأنا اجهل متى قد تم نصبها هناك وعلى اية حال فأن بأمكاننا معرفة ذلك من العمة مارجريت ، اذ انها حتما على علم بذلك ، ولكنني لا يمكن ان اتصور كيف امكن لهربيت براون ان تتسلق السياج الحديدي فيما لو أنه كان مقاما منذ ذلك الحين ،دعونا الآن نعد الى اسفل المنحدر ونسير بمحاذاة النهر حتى نبلغ الجسر .

عندما هبطوا من المنحدر ، سألت بيتر نيكولاس فيما اذا كان بأمكانهم تسلق بعض المنحدرات

الصخرية ، فأجابها : لقد قمت بتسلق بعضها سابقـا فعثرت في اعاليها على بعض الكهوف الصغيرة ، واذا ما أردنا استكشاف تلك الكهوف فعلينا ان نستخدم حبلا يتدلى من الاعلى .

فعقب ديفيد على قوله : وهنا يكمن السر ، وهو بما اننا نحتاج حبلا للهبوط حتى اسفـل المنحـدر الصخري ، فكيف تمكنت هريت براون وحدها من القيام بذلك اثناء العاصفة ؟

فطلبت جيني من نيكولاس ان يخبرهم فيما اذا كانت المنحدرات الصخرية في الجانب البعيد عنهـم من النهر هي في الشدة نفسها من الانحدار كهذه التي يقفون عندها ، فأجاب قائلا : انها صلبة جدا وخطرة عند تسلقها وهي ايضا شديدة الانحدار ولا يوجـد طريق سالك على امتداد النهر في ذلك الجانب . ثـم تساءل قائلا : هل تفضلون أن نتناول طعامنا الآن ام هل نذهب الى المنزل اولا ؟

وقبل أن يتمكن أي منهم من الاجابـة ، قطـع الصمت صـوت وضوضاء حفـارة تعمـل بالهـواء المضغوط . فقال ديفيد بتجهم : لقد بدأوا الهدم ومن الأفضل لنا أن نتسلق التل لكـي نـرى ما الـذي يحدث هناك .

فتقدمهم نيكولاس صاعدا التل عبر مسلك ضيق، يقع على امتداد حقل منحدر ، وقد كانوا جميعا يلهثون من التعب وهم يحاولون الوصول الى الاعلى وعندما انهوا تسلقهم الشاق تطلعوا حولهم فرأوا تحتهم الجسر الصغير والنهر الملتوي الذي يمتد عبر المرعى اما الممر فقد كان مخبأ خلف شبكة من الاشجار ، ومن مكانهم في اعلى التل شاهد أعضاء المجموعة (برنك وود مانور) لأول مرة ، وعلى الرغم من انه كان يبعد اكثـر مـن ربع ميل عنهم الا انهم قدروا كم كان هائل الحجم .

ثم بدأوا يقتربون منه اكثر حتى وصلوا الى احد جوانبه ومن هناك شاهدوا الحفارة وهي تعمل وفجأة بادرهم رجل نحيف اسمر اللون قائلا : ماذا تريدون ؟ ان هذا المكان هو ملكية خاصة .

فأجابه نيكولاس سريعا : لقد كنت اقطـن هنـا واسمي هو نيكولاس وايت فلاور ، واني أرغـب أن أطلع اصدقائي على المنزل قبل ان تهدموه .

فتبعه أصدقاؤه عبر الباب الامامي المفتوح تاركين الرجل يصيح بهم : لكن هذا غير مسموح به ... ولكن حسنا سأدعكم تلقون نظرة على المنزل على الا تبقوا فيه طويلا .

في صالة المانور قال نيكولاس لرفاقه : اني لـن أريكم كل غرف المنزل ، ذلك لانه كبير جـدا ، هـل ما زلتم ترغبون في رؤية الصهريج ؟

فأجابته بيتر على الفور : لم لا ، ان اي شخـص يستطيع ان يخبيء عقدا في صهريج ، اليس كذلك ؟ فما عليه الا ان يلقيه في المـاء .

فتقدمهم نيكولاس الى الاعلى مرتقيا عدة سلمات. وفي اعلى المنزل . عند الزاوية البعيدة من الدهليز فتح نيكولاس بابا وقال : ها نحن قد وصلنا ، هلا ساعدتني،

في رفع الغطاء يا ديفيد لكي تتمكن من رؤية مـا في داخل هذا الصهريج •

فرفعا معا غطاء خشبيا من فوق الخزان الكبير ، وكان الماء في داخله ساكنا ورقراقا والضــوء الذي يتخللــه يسمح لهم ان يروا بوضوح انــه لا يوجد اي عقــد ماسي في قاع الخزان •

فقالت بيتر متحسرة : ها هو وهم آخر يتلاشى ، فقد كنت أظن بأن الصهريج من الممكــن أن يكــون المكان الذي خبأت فيه هربيت العقد ، لان كلمة مياه قد وردت في آخر رسالتها كما رأيتم •

فحاول نيكولاس ان يرفع من معنويات رفاقه بأن قال : لا بأس ، فأنه يوجد في الارض المحيطة بالمنــزل بئر قديمة وسأريها لكم ايضا ، اما الآن فدعونا نذهب لنلقي نظرة على غرفة مدبرة المنزل هربيت براون •

فتبعوه هابطين سلمتين ومن ثم قطعوا دهليــزا في نهايته نافذة ، وفجأة توقف نيكولاس عن المسير ووضع اصبعه على فمه محذرا اياهم وذلك لانه سمع اصواتا

تصدر من خلف الباب المغلق لغرفة مدبرة المنزل ، وكانت تلك الاصوات تغمغم ويصحبها ضجيج اقتلاع بعض الالواح الخشبية .

فقام نيكولاس بفتح باب الغرفة وشاهد رجلين ينتزعان الواح الخشب عن أرضيتها ولما احسا بوجوده التفتا اليه واندهشا لدى رؤيتهما اعضاء المجموعة واقفين عند باب الغرفة المفتوح . وكان احد الرجلين بدينا وباهتا ، اما الاخر فقد كان يرتدي نظارات ذات اطار فولاذي وكان هذا الثاني هو اول من نهض واقفا وصرخ بهم بغضب عارم : اخرجوا من هنا نهذا المكان هو ملكية خاصة ، بودي لو أعلم كيف تمكنتم من الدخول اليه .

ثم نهض الرجل البدين على قدميه حاملا قالعته الفولاذية ، مهددا اياهم بها ، وفي ثوان معدودة كان أعضاء المجموعة في الدهليز ثانية وقد اغلق الباب في وجوههم بعنف .

فهمست جيني بأنفعال : ترى ما هو رأيكم فيما شاهدتموه توا ؟ لقد سبق لنا أن رأينا هذين الرجلين وهما ليسا من عمال انهدم بل هما اللذان حضرا المزاد في لودلو وحاولا شراء أريكتنا . انني لن أنساهما مطلقا .

الفصل السادس

« ضجيج في ظلام الليل »

بعد مضي يومين على ذلك الحادث كـــان اعضـــاء المجموعة ومعهم نيكولاس في طريقهم لاقامة مخيمهم في برنك وود مانور ، وقد قاموا بقطـــع المسلك الوعـــر المؤدي الى النهر ثم سبقهم نيكولاس في عبور الجسر المقوس ، لكنه ظل واقفا عند نهايته كي ينتظر الاخرين الذين أنزلوا ما كانوا يحملونه من امتعة فوق الجسر ثم أتكأوا على متراسه .

فأبتدأت جيني الحديث وهي تشير بأصبعها قائلة : هناك يقع المكان الذي سنخيم فيه ياتوم ، خلف تلك الشجيرات وقريبا من ضفة النهر ، وبما ان المانور يقع فوق قمة ذلك التل فأن علينا ان نتحرى قريبـــا في المنطقة الواقعة حوله .

كان الموقع الذي أختاروه لمخيمهم يتسع لاقامة اربع خيام بين شبكة الشجيرات وضفة النهر . وبذلك

يختفون عن الانظار ولا يمكن رؤيتهم الا من جانب التل وعلى مسافة تبعد زهاء خمس عشرة ياردة ما بين معسكرهم وضفة النهر لاحظ توم امرأة غجرية واقفة هناك ، كانت سوداء الشعر وتتحلى بقرطين ذهبيين وترتدي فستانا مهلهلا ذا لونين احمر وابيض ، وبعد ان أيقن توم من انها كانت تنصت اليهم منذ وقت قصير قال مخاطبا ديفيد : يبدو ان هناك زائرة مهتمة بنا كثيرا •

تقدمت المرأة منهم وبادرتهم متسائلة : ماذا عساكم تفعلون هنا ؟ انكم متسللون ، من قال ان بأمكانكم ان تخيموا هنا ؟ من الافضل لكم ان تحزموا حاجياتكم وتغادروا المكان قبل أن تقعوا في مشاكل أنتم في غنى عنها •

فتقدمت (ميري) منها وهي تقول : لقد سبق لنا رؤيتك من قبل ، اليس كذلك ، انك كنت تتجسسين علينا منذ ساعة في الاقل ، وقد لمحتك قابعة بين الشجيرات •• وعليك ان تأخذي حذرك وتخففي من حدة غضبك والا فأن كلبي ما كبث سوف يعضك •

فاستكمل ديكي كلام اخته قائلا : انّ ماكي يكره رؤية الناس الغاضبين • وبينما هم على هذا الحال ، اذ بنيكولاس يلتحق بهم عائدا ادراجه من النهاية الاخرى للجسر فقال متسائلا : ما الذي يحدث هنا ؟ وما سبب كل هذا الشجار ؟

فأجابته بيتر : نحن لا نعرف يا نيكي من عساها تكون هذه المرأة ولكنها تهددنا وتدعي بأننا نتطفل على أرض احد المزارعين •

فأجاب نيكولاس مسرعا : ولكن هذا ليس صحيحا ، انا لا اعرف من عساك تكونين ولكن دعيني اخبرك بأنني ادعى نيكولاس وايت فلاور وقد كنت اقيم مع اهلي في المانور وعليك ان تعرفي بأنني واصدقائي لن نعود قافلين كما طلبت منا وذلك لاننا لا نسبب اذى لاحد ، لذا ارجو منك ان ترحلي من هنا •

فغمغمت المرأة قائلة : سيعيق بكم اذى كبير اذا لم تتركوا هذا المكان وأنا احذركم منه لانه حقا لا يصح لاقامتكم فيه وستكتشفون انتم صحة قولي وحدكم ، ثم استدارت عائدة باتجاه ضفة النهر •

وعندما ابتعدت عنهم ،سأل ديفيد نيكولاس قائلا: هل سبق لك رؤيتها من قبل ؟ فأجابه : كلا ، لا اعتقد ذلك ، ترى ما سبب مجيئها الى هنا ؟ اذ لا يعرف بهذا المكان الكثير من الناس •• ولكـــن من المحتمل انهـــا تقيم هنا منذ مدة طويلة • ثم سألته بيتر عما اذا كان العمال ما يزالون يعملون في هدم المانور وذلك لانهـــا لم تعد تسمع صوت الحفارات •

فأجابها : اني لم اقترب كثيرا من هنـــاك عندمـــا تقدمتكم في عبور الجسر ولكنني شاهدت من على بعد ثلاثة رجال يعملون بتثاقل وقد تأكد لي بأنه من الممكن لنا أن تتسلل الى المنزل من دون أن ينتبه احد منهـــم لذلك ••• لكنني اود قبل ذلك ان تشاهدوا ثلاثـــة اماكن ، بعد ان شاهدتم الممر ، فأولا اريدكم ان تقوموا بالقاء نظرة على بئرنا الكبيرة ثم نعود لكي نتسلل الى المنزل ثانية واخيرا من المهم ان تشاهدوا كوخنا المهدم والطاحونة المائية ، فهل لنا الآن أن نتوجه للبئر ؟

لم يمانع أي منهم ، فقادهم نيكولاس عبر الحقل وهو يبين قائلا : لا أحد منا يعلم تماما متى تـــم حفر

تلك البئـــر ولكنها على أيـــة حال أقدم مـــن المانور بمآت السنين . هـــا نحن قد وصلنا اليها ، فهيا بنـــا نشاهدها عن كثب ، وقد كانت تلك البئر حقا من أكبر الآبار التي لم يسبق لاي منهم أن شاهد مثيلا لها ، ولما ألقوا نظرة على قاعها قدروا بأن عمقها لا يقـــل عـــن ستين قدما ، ثم تساءل نيكولاس قائلا : أنت لا تعتقد يا ديفيد بأن هربيت براون قد تكون قد خبأت العقد هنا ، أليس كذلك ؟ فأجابه ديفيد : على الرغم مـــن أن آخر كلمات كانت ... حيث توجد المياه ، ألا أنـــه من المؤكد بأنها لو كانت تقصد البئر لكانت قـــد ذكرت ذلك على نحو أوضح ، أن مشكلتنا تكمن في أننا لا نعلم فيما لو كانت هناك صفحات تكميلية لرسالتها في مكان ما أولا ، وفيما يخص هـــذه البئر فأننا سنقوم بزيارة أخرى لها ، كي نستكشفها بطريقة أدق ، أما الآن فدعونا نقم بجولة أخرى في المنزل . مـــع أني لا أعرف تماما ما الذي يمكن أن يعثر عليه هناك ، ولكن ما من خير لو دخلنا اليه بما أنه لا يبدو أن احدا ما موجود فيه .

وبعد ان اصبحوا داخل المانور قاموا بدخول ثلاث من غرفه كانت احدها غرفة مدبرة المنزل فوقع نظرهم على أثـار تخريب متعمد في أرضيتها ولكنهم ، بطبيعـة الحال ، لم يكونوا ليعرفوا فيما أذا كان أولئك الذين قاموا بأحداث ذلك التخريب قد عثروا على ما كانوا يبحثون عنـه أم لا ، وقد أسترعى أنتباه ديفيد شبح رجل واقف عند بوابة المنزل ، وقد كان ذلك الرجل مراقب العمال ، والذي من المحتمل أنه قد قدم عندما سمع صوتهم ، فصرخ بهـم والشرر يتطاير من عينيه قائلا : أغربوا عن وجهي ، وأذا ما شاهدتكم ثانية هنا أنـا أو احد رجالي فسأخبر الشرطة عنكم فورا . الا تدركوا أن هدم المنازل هـو مـن الاعمال المحفوفة بالمخاطر ، وأذا ما حدث مكروه لاحدكم فأن وحدي الذي سأتحمل نتائج ذلك .

فتحدث اليه ديفيد قائلا : أنت تعرف تماما بأننا لا نقوم بأي عمل مؤذ هنا ؛ وكل ما في الامـر فأن نيكولاس وايت فلاور يود أن يأخذنا في جولة في أرجاء المنزل الذي كان يسكن فيه فيما مضى ، ثم هل لديك

علم بمـا كان يحدث هنا قبل عـدة أيام حيث كان رجلان غريبان يقومان بقلب البيت رأسا على عقب ؟ نحن قد رأيناهما وقد تساءلنا حينها فيما أذا كان علينا أن نبلغ الشرطة بذلك •

قائلا : لم يكن هنا ثمـة من رجال أغراب في المنزل ، وأذا كان هناك أحد قد حطم هذا المكان فهو أنتم ••• والآن أذهبوا بعيدا عـن هنا ولا تدعوني أو أحـد رجالي نراكم هنا ثانيـة • ثـم غادر المكان وتركهم واقفين في صالة المنزل •

فخاطب ديفيد رفاقه قائلا : أنا واثق مـن أنـه يكذب وبأعتقادي فـأن ذلكما الرجلين قـد أعطياه رشوة كي يظل صامتا ويبعدنا عن هنا ، وبهذا يتضح بأن هنالك أمرا مريبا يحدث في هذا المنزل ، الا ترون ذلـك معـي ؟

فأيده توم بقوله : أنا لا أرتاح لهذا الرجل ويبدو بأن الكثير من الامور الغريبة تحدث في هذا المكان تحت سمعه وبصره ، ويبدو أننا فعلا قـد حققنا أنجازا مهما

بذهابنا الى المزاد في لودلو ، ثم عثرنا علم الرسالة ، أنك ما تزال تحتفظ بنسخة منها يــا ديفيد ، أليس كذلــك ؟

فتلمس ديفيــد محفظته وهــي في جيبه وأومأ بالايجاب •

فقال لــه تــوم بجدية : حافظ عليها جيدا أذن يا ديفيد وقد يكون من الاصوب لو نخبئها أو نرسلها بالبريد الى بيتنا أو حتى نحرقها •

فنظر اليه الجميع بدهشة لانه كان يتكلم بجدية مستغربة ، ثم أسترسل قائلا : وهناك أمر آخر علينا معرفته وهو ، من كانت تلك المرأة ذات الاقراط ؟ كما تلاحظون فأن الكل هنا يحاولون ابعادنا عــن هــذا المكــان •

فطمأنته جيني قائلة : سنتحدث في هذا الامر ونحن مجتمعون حول نار مخيمنا هذا المساء ، أمــا الآن فما رأيــك يا نيكي في أن تقودنا لرؤية المطحنة القديمة المسكونة •

وفعلا تقدمهم ، فساروا على أمتداد ضفة النهر ثـم أنعطفوا يمينا وعندما بلغوها وجدوا أن كلا من المطحنة والكوخ الملحق بها كانا مهجورين تماما وقد تحولا الى أنقاض مهدمة مما خيب ظن نيكولاس الذي قال لاصحابه بتأسف : لقـد كنت أعتقد بأن رؤيـة المطحنة ستكون أمرا مثيرا لكم ، ولكن هذا لم يحدث ولم أتصور بأننا سنراها على هذه الحال ، أذ أنني لم آتي الى هنا منذ وقت طويل •

فحاولت بيتـر أن تهون الامر عليه بأن قالت لـه : على أيـة حال لقـد أستطعنا أن نكون فكرة لا بأس بها عـن المكان أما الآن فدعونا نعد الـى المعسكر لنتناول وجبة طعام جيدة وننام مبكرين •

وفعلا عـاد الجميع الى المعسكر وأوقدوا نـار ثـم قاموا بتهيئة طعام العشاء و الشاي ، في حـين كانت الشمس تميـل الـى الغروب خلف المنحدرات الصخرية للممر • وبعد أن آوى الآخرون الى خيمهم بقي كل من ديفيد وبيتر وتوم يتحدثون بهدوء زهاء

ساعة ، قاموا في أثنائهـا بمناقشة كل ما مر بهم من أحداث ومنذ بدء مغامرتهم واضعين نصب أعينهم بأن لدى الرجلين اللذين شاهد هما توم وجيني في المزاد بعض المعلومات عـن ماسات وايـت فلاور وانهمـا ما يزالان يبحثان عنها بطريقـة محمومة .

أمـا فيما يخص المـرآة الغجرية التـي حاولت أخافتهم لكي يغادروا المكان فلم يتمكنوا من التوصل فيما أذا كان لها علاقة بموضوع الماسات أم لا ، كما أنهم لم يكونوا متأكدين فيما أذا كان مراقب العمال متورطا مـع الرجلين أم لا ، وقد كان ما يشغل بـال بيتر هـو خوفها من أن تكون هربيت قد خبأت العقد في الطاحونة القديمة أو الكوخ الملحق بهـا . اذ قالت تحدث رفيقيها ، يجب أن نستفسر من الآنسة وايت فلاور فيما أذا كانت الطاحونة تعمل بحالة طبيعية عندما حدثت سرقة العقد ، وفي الواقع فأنني لا أميل الـى تجنيد فكرة البحث عن العقد في تلك البقايا المهجورة وكل ما أطلبه الآن منك يا ديفيد هـو أن تعيد قراءة نسخة الرسالة التي تحتفظ بها لكي ترى فيما لو أننـا

قـد أهملنا أي شيء ذي أهميـة فيها ، خذها هـو مصباحي ..ولـم يقم أي مـن بيتر أو توم بمقاطعـة ديفيـد وهـو يقرأ رسالة هربيت براون التي سبق أن كتبتها في اليوم المأساوي الاخير مـن حياتها ، ولمـا وصل في قراءته الى الكلمات المهمة .. حيث توجـد المياه . نبح ما كبث محذرا أياهم ثـم ركض مسرعا مخترقا ظلام الليل ومتجها نحـو ضفة النهر فلحقه ديفيد وهـو يحمل المصباح ثم لحقه تـوم وبيتـر ولكنهما تعثرا بوتد احدى الخيم وسقطا أرضـا محدثا ضجيجا مسموعا ، فساد سكون الليل صخب عال فقد كـان الكلب ماكبث ما يزال ينبح بين الشجيرات وفي الوقت نفسه أمكن سماع أحدهم وهو يكيل اللعنات ويتخبط وهو يحاول الهرب مبتعدا عن ماكبث ونباحه واخيرا سمعت بيتر ديفيد وهو يقول : حسنا فعلت يا ماكي الشاطر . فأتجهت نحو الكلب راكضة فوجدته عنـد ضفة النهر . ثم لحق بها توم وأخيرا أتاهم ديفيد وهو يلهث ويقول ها هو المصباح ، هيا يا بيتر سلطي ضوءه

علـــى ماكي ، فأني أعتقد ان أحدهم قد رفسه بينمـــا كان يحاول الافلات منـــه •

فتناولت بيتر الصباح منـــه وسلطته على ماكي الذي كان يحاول أن يتملص منهم وقد أنتصبت أذناه، في حـــين كان ذيله يهتز مـــن دون توقف ، وبين فكيه المطبقين بأحكام كانت هنالك قطعة قماش صوفية ذات لون بني ضارب الى الحمـــرة •

الفصل السابع

« البـــرج »

على الرغم من الجلبة التي حدثت في الليلة الماضية وآقضت مضاجع أعضاء (لون باينر) الا أنهم نهضوا مـــن نومهم مبكرين في صباح اليوم التالي . وعند تمام السـاعـــة السـابعة والنصف كانوا جميعا قـــد آغتـــسلوا وأرتدوا ملابسهم ، ثم جلسوا يتناولون فطورهم الذي كان يشتمل على سجق ساخن وخبز ومربى وشاي ؛ وفي هذه الاثناء كانت بيتر تقص على كل من التوأمين وجيني ونيكولاس ما حدث ليلة آمس ثم أنهت حديثها قائلة : لقد كان ماكي بطلا حقيقا وهو حقا من أشجع الكلاب على الاطلاق؛ فقد أحس بالرجل وهو يتجسس علينا خلسة من بين الشجيرات فأندفع راكضا خلفـــه وقد كنا منشغلين بالحديث ولم ننتبه الى ما كان يحدث حولنا الـــى أن بدأ ماكي بالعراك مـــع الرجل الغريب الذي قـــام بدوره بركل ماكي ولكنه يبدو هذا الصباح

علــى خير ما يرام • ولدى سماعها ذلك ، ألقت ميري السحق الذي كانت تتناوله جانبا وهرولت نحو ماكبث الذي بدأ يئن عندما أخذت تتحسس أضلاعه ، وقالت : لقــد أنقذ حياتنا ثانية • بينما راح هو يلعق أنفها •

ثــم قال ديفيد بنبرة جادة : يجب علينا الآن أن نتباحث في أمــر الرجل الذي أبعده ماكي عن مخيمنا ليلــة أمس •

فسأله نيكولاس : مــن أين لك أن تعرف أنــه كان رجلا ؟

ــ : لقد وقع بين أيدينا دليل يؤكد ذلك وسأريكم ايــاه بعــد قليل ولكن المشكلة تكمن في كون ذلك الجاسوس كان ينصت الي وأنــا أقرأ رسالة هربيت ولا بد أنه قــد سمع أيضا الجملة الاخيرة وهي ••• حيــث توجد المياه • ثــم أكملت بيتر حديث ديفيد قائلة : أن الشيء الذي لا يمكننا أن نكون متأكدين منــه هو كم من الوقت ظل خصمنا في مخبئه يتنصت علينا : والآن أريهم الدليل يا ديفيد • فتحلقوا حوله ؛

بينما كــان يفتح محفظته فيخرج منهــا قطعة صوف صغيرة مثلثة الشكل ذات لون بني ضارب الى الحمرة.

فقال توم : أني أراهن بأن هذه القطعة هي جزء مــن سروال الرجل الذي كان مختبئا ، وأنا أعلم علم اليقين مــن يرتدي سروالا بهــذا اللون وأنت أيضــا تتذكرينه . أليس كذلك يا جيني ؟

فاجابته جيني قائلة : أنــه الرجل الطويل ، النحيف ، المسن ذو النظارات الذي أراد شراء الاريكة في المزاد، ثم أشترى الكرسيين . أنت تتذكره ، أليس كذلــك يانيكولاس ؟

ــ : آتذكره طبعا . وهو الرجل الذي كان يخلع الواح أرضية غرفة مدبرة المنزل نفسه ، أذ لا يمكــن لأحد أن ينسى مثل تلك البدلة الغريبة .

ثــم قالت جيني : الا ترون بــأن هنالك أناسا آخرين يسعون للحصول علــى كنزنا ، أعني بكلامي هذا ، كما لو أن هناك أحدا لديه علم بأن رسالة هربيبت كانت مخبأة في الاريكة وعلى الرغــم مــن أن الشيء

الوحيد الذي تخبرنا الرسالة بـه هو كون الماسات قد خبأتها بالقرب مـن المياه ، فـأن أولئك الرجال كانوا يبحثون عنها تحت الالواح الخشبية في أرضية غرفـة هربيت . فعلقت بيتر بهدوء قائلة : وهذا يدل علـى أنهـم لا يعلمون بمضمون الرسالـة ولكنهم أبتدأوا يدركون الآن بـأن هناك شيئـا نعرفـه نحن أما هم فيجهلونه ، وأذا ما كنت مكانك يـا ديفيد اذن لقمت باحراق نسخة الرسالة التي معك على الفور .

فوافقتها جيني قائلة : أجـل عليك القيام بذلك لانهم رجال أشرار ومرعبون ، ولكن الا تلاحظون بأن ما من أحد منكم قـد تساءل عـن المرأة الغامضة التي كانت تتجسس على التوأم ، فمن عساها تكون ؟

ولم يكن احد منهم يعرفها ولكن توم قال : على أيـة حال دعونا نضع نصب أعيننا بأن هناك من يحاول جاهدا لكي يبعدنا عن هذا المكان .

وأيدتـه جيني قائلة : أن مـا يقوله تـوم لهو الصواب بعينه فأن العديد من الاشخاص وقد يكونون

عصابة بأكملها ، يحاولون أبعادنا عن هنا ، وعليه فأنا لا أحبذ ان يبقى أي منا وحده هنا فأكمل توم على الفور : وأنا كذلك لا أحبذ هذا •• والآن هيا ياديفيد وتخلص من نسخة الرسالة التي لديك ، بما أن عمة نيكولاس لديها النسخة الاصلية منها ، أليس كذلك يانيكي ؟

فهز نيكولاس رأسه بالايجاب •

وهنا أخرج ديفيد نسخة الرسالة من محفظته وألقى بها في الجمر المتقد لنار المخيم • ثم توجه بكلامه لرفاقه قائلا : يجب علينا جميعا أن نتخيل أنفسنا كما لو كنا هربيت براون وذلك لكي توجه مساعينا الوجهة الصحيحة ونحن نستكشف كل أنج من الممر وكل الارض المحيطة بالمانور ، وعلى ذلك فمن الافضل لنا ونحن نقوم بذلك أن يشترك كل اثنين منا معا وأن يكون تحركنا سريعا وذلك لان خصومنا أصبحوا الآن يملكون القدر نفسه من المعلومات الذي نعرفه نحن •

فالتقطت جيني الحديث وقالت بأصرار : علينا أن لا ننس المانور ، اذ ينبغي لنا أن نفتشه قبل أن يتم

هدمه ، لنفرض بأن هربيت المسكينة لم تخرج من المانور بعد أن خبأت الرسالة مباشرة لكون العاصفة كانت هوجاء جدا ، وماذا لو أنها في حالة الفزع الكبيرة التي كانت تعانيها ، قد خبأت العقد في مكان ما من غرفتها ثم خرجت من المانور خشية مقابلة المخبر وانتم تذكرون أنها قد ذكرت في الرسالة مدى خشيتها منه، بحيث أنها تركت المنزل من دون أن تأخذ العقد معها لان همها الاول والاخير كان أن تنجو بنفسها ولكنها غرقت في سيل المياه الجارفة .

فوافقتها بيتر على هذه الافتراضات بأن هزت رأسها وهي تقول : أن هذا ممكن ، أليس كذلك يا ديفيد ؟ فمن الممكن أن خصومنا يعتقدون بأن العقد لم يزل في غرفة هاربيت . فردد ديفيد ما قاله سابقا : أن خصومنا يمتلكون القدر نفسه من المعلومات التي لدينا . فأستدرك توم قائلا : ومن المحتمل أن لديهم معلومات أكثر منا . وأنا ما زلت أتساءل أن كانوا قد عثروا على تكملة الرسالة في أحد الكراسي التي

اشتروها ؟ ومن هنا يتضح بأنه من الضروري أن نقوم نحن بدورنا بالتجسس عليهم .

ثم قاموا بعقد مجلس حربي كانت جيني في وقته تصر وتتوسل بالجميع لكي يضعوا أنفسهم مكان هربيت براون ثم أردفت قائلة : لو أن باستطاعتنا فقط ان نصل الى تصور الحالة التي كانت عليها هربيت آنذاك ، لكان هذا سيساعدنا حتما في معرفة ما فعلته بعد أن كتبت رسالتها ، هل تعتقدون بانها كانت تمتلك أي فكرة عن المكان الذي ستخبيء العقد فيه عندما كانت تكتب الرسالة ؟ المشكلة تكمن في أن هنالك الكثير من المياه في هذه المنطقة . فمثلا هناك عجلة الطاحونة والبئر القديمة والماء في المنزل ... و ... وهنا قاطعتها بيتر والماء تحت البرج وكذلك عبر الممر والماء الجاري فوق الحصى هنا .

فنبههما ديفيد بقوله : عليكم أن تتذكروا بأنه ليس هناك متسع من الوقت لكي نضيعه في الكلام ، ومن الاسلم لنا جميعا أن نقوم بتقسيم أنفسنا الى ثلاث مجاميع للتفتيش وذلك لكي تتمكن من

آستكشاف أماكن مختلفة في الوقت نفسه ومن ثم نلتقي ثانيــة في المخيم عنــد يحين وقت العشاء ، وستتكون المجموعة الاولى من التوأمين ونيكولاس والكلب ماكي حيث سيقومون بالبحث في المنزل والحديقة وستكون مهمة بيتر وجيني التفتيش في المرعى هنا بحيث لا تدعان مخيمنا يغيب عن ناظريهما ومن ثــم ستحاولان الدخول الى الكوخ المهدم والطاحونة ، أما أنا وتوم فسيكون واجبنا أستكشاف الممر وخصوصا المنحدرات الصخرية على جانبيه و الكهوف الموجودة هناك وهذا يتطلــب منــا القيام بالكثير مــن التسلق نحو الاعلى والــى الاسفــل .

فأعاد نيكي ماذكره لهم سابقا بقوله : هناك عدد قليل من الكهوف في أعالي تلك المنحدرات الصخرية وهي جميعا صغيرة الحجم،ثم وجه كلامه الى التوأمين : هل لنا أن نبدأ في الحال ؟ وسأطلعكما على ما واتتني مــن فكــرة جيدة تتعلق بكيفية دخولنا الى المنزل .

فأستعد التوأمــان للمغادرة وبــدأت المجموعة الاولى تحركها يتقدمها ديكي ويتبعه كل من نيكولاس

وميري والكلب ماكي ولما أبتعدوا عن المخيم ، بادرهم نيكولاس قائلا : أتتبها لـــي جيدا لكي أشرح لكما فكرتي ، فكما تعلمان أن ما نحرص عليه هو الدخول الى المنزل من دون ان يلاحظ أحد ذلك ، هيا أقتربا منـــي أكثر لاني سأريكما شيئا ما من هنا ، ثم أشار الى قمـــة تل كان المانور يقع خلفه ، ثم أكمل قائـــلا : أنظرا هناك جيدا ، الى ذلك الجزء من التل الذي يشبه قمة مدخنة كبيرة ، أيمكنكما رؤيته ؟ إنه يقع في نهاية التل تماما وهو عبارة عـــن قمة لبرج قديم يقع فوق المانـــور وليس بأمكان أحد أن يرانا عندما نصل الى تلك القمة أما نحن فسنتمكن من مراقبة كل ما يحدث مـــن موقعنا ذاك .

ثـــم قادهم نيكولاس عبر الطريق المؤدي الـــى أعلى التل وبينما هم يتقدمون تناهى الى سمعهم صوت الحفارات وهذا يعني أن العمال كانوا يعملون على هدم المنزل ، ومن مخبئهم بالقرب من المانور شاهدوا بابه الامامي مفتوحا ، كمـــا كان هناك دخان يتصاعد مـــن مدخنة صغيرة لاحد الأكواخ الملاصقة للمانور ،فهمست

ميري قائلة : يبدو انه ليس هنالك من أحد فيه • لكن ديكي قاطعها قائلا : بل هناك شخص ما فيه ، وأظن أنه من الممكن أن يكون مراقب العمال ، الذي قد يكون يكون منشغلا بأعداد قدح من الشاي له ، وهو يكره رؤيتنا فكيف لنا أن ندخل المنزل من دون أن ندعه يلحظ ذلك ؟

فهمس لهما نيكولاس بتفاصيل خطته قائلا : سأقترب أنا أولا من الكوخ بينما تبقيان أنتما هناوحيث أنني أتمكن من العدو بسرعة ، لذا فانني سأعمل على الظهور أمامه وأثارة غضبه لكي يلحق بي ، فأقوده الى خلف المنزل وعندما نغيب عن أنظاركما أدخلا من الباب الامامي على أن يتم ذلك بسرعة لكي لا تدعا أحدا يراكما وبعد أن تدخلا الصالة وترتقيانالسلم سيقابلكما باب أخضر يؤدي الى ممر صخري وبعد أن تستديرا الى جهة اليسار في ذلك الممر ستصلان الى آخر باب في ذلك الممر فتفتحاه وتدخلان ما يشبه غرفة المخزن ، والتي يوجد في أحد جوانبها باب صغير تجدان مفتاحه معلقا في كلاب على الحائط وهو مفتاح صغير ، فاذا

لـم تعثرا عليه فعليكما أن تنتظراني في غرفة المخزن الى أن ألحق بكما ، أمـا أذا تمكنتما من فتح الباب فستقابلكما سلالم صخرية ، قوما بالصعود عليها فورا حيث يوجد في آخرها باب أفقـي في السقف والذي ارجو أن تتمكنا من فتحه لكي تصعدا عبره الى السطح وحسب ما أذكر فقد كان هناك سلم خشبي بأمكانكما أستخدامه لكي تصعد الى السطح مـن خلال الباب الافقي ، ولا يفوتكما أن تحرصا على أن لا تدعا ماكي ينبـح •• أما الآن فلنسرع بتنفيذ ما أتفقنا عليه قبـل أن يأتي رجال آخرون الى الكوخ •

فقال لـه ديكي : سنصحبك يانيكولاس حتى الكوخ فنختبيء خلفه ، كي ندخل المنزل فـور قيامك بمناورة مراقب العمال •

فهمس لهمـا نيكولاس : الـى اللقاء ، سأكون معكما بأسرع ما يمكن •

ثـم بـدأ يعـدو بأتجاه الناحية اليمنى مـن الكوخ ، بعدها توقف على بعـد عشرين خطوة منه

تقريبا وبدأ يحملق في الرجل الذي بدأ بالصراخ فيه حال رؤيته لـه : لقـد قلت لك من قبل أن نبتعد من هنا أيها المتسلل ، هيا أغرب عن وجهي •

فأحتج نيكولاس قائلا : ليـس من حقـك أن تكلمني بمثل هـذه اللهجة لمجرد أنني أريد أن أقوم بجولة في المنزل قبل أن تقوموا بتقويضه كلـه ، ولن تتمكن من أن تحول بيني وبين تحقيق هذه الرغبة •

لم يستطع مراقب العمال مـن كبح جماح نفسه فتقدم منـه هائجا وهو يقول : أن هذا يعني أن علي أن أقوم بحملك وأخراجك من هذا المكان بالقوة أيها الطفـل اللعين •

وبينما بـدأ يتقدم منـه راح نيكولاس يركض فلحقه الرجل وهو يصيح به وفي ثـوان معدودة أختفى الأثنـان عـن الانظـار ، ممـا فسـح المجـال للتوأمين كي يدخلا المنزل ويركضا عبر الصالة وهمـا يسحبان الكلب الصغير خلفهما ، ثم فتح ديكي الباب الاخضر ودلف من خلاله تتبعـه ميري الى غرفة تقـع

في نهايــة الممر الصخري ، ثم خاطت أخاها قائلــة : ها هو الباب ياديكي ، أبحث الآن عن المفتاح • فمــد ديكي يده الى كلاب في الحائط وألتقط منــه مفتاحا صغيرا ، فتح بــه بابا ضيقا ثــم قال : أنظري يا ميري الى هذه السلالم الملتوية ، أنها تماما كمــا وصفها لنا نيكولاس •

فأجابته قائلة : طبعا ، أنها يجب أن تكون كمــا وصفها تماما ، أمــا الآن فدعنا نرتقيها ونترك الباب مفتوحا لكي يدخل نيكولاس عبره في أستمرار مطاردته من قبل خصومنا ، فبدآ بالصعود على السلالم المؤدية الى البرج والتي كان يضيئها ضوء خافت مكنهما من تلمس طريقهما ورؤية الانحراف الحاد للسلالم ، وقد شعرا وهما يرتقيان تلك السلالم بألام في أقدامهما حيث كانا يلاقيان صعوبة في تسلقها ، وكانا يأملان أنه بعد كل أستدارة الى اليمين أن يصلا الــى الباب الافقي المؤدي الى السطح وفي نهاية المطاف وصلا اليه ولكنهما لم يجدا أي سلالم خشبية ، ولما مــد ديكي يــده الى الاعلى محاولا الوصول الى مزلاج الباب الافقي لكي

يفتحه ، أدرك أنه أعلى من أن يصل اليه فقال مخاطبا ميري ، سأقوم بأحناء جسمي بينما تصعدين أنت على ظهري لكي تسحبي المزلاج • وبعد أن فعلت ميري ما طلبه منها ديكي ، تمكنت من سحب المزلاج بعد جهد بسيط ، ثم رفعت الباب الافقي فأنسل عبره ضوء الشمس •

بعد ذلك تعلقت ميري بحافة الباب الافقي وساعدها ديكي في الصعود رافعا إياها الى الاعلى حتى تمكنت من الوصول الى السطح ثم حمل ديكي الكلب الصغير رافعا إياه بكلتا يديه فألتقطته منه ميري وأخيرا ربطت ميري حبلا وجدته في الاعلى من أحدى نهايتيه حول سارية علم مثبت هناك وألقت بنهايته الأخرى الى أخيها الذي تشبث به ، وفي غضون عشر ثوان كان ديكي بدوره فوق السطح واقفا بالقرب من أخته • ومن موقعهما فوق سطح البرج كان بأمكانهما أن يبصرا بريق الماء في الممر وأن يريا كذلك المرعى والاشجار البعيدة التي كانت تحجب عنهما

الكوخ المهـدم والمطحنة ، كمـا أنهما شاهدا أيضـا من هناك خيـم معسكرهم •

وبينما هما يتطلعان حولهما من فوق البرج تناهى الى سمعهمـا وقع اقدام على السلالم الصخرية ثـم أطل عليهما نيكولاس بوجه متورد واقفا تحت فتحـة الباب الأفقي فأكتفى بأن أبتسم لهما من دون أن يتكلم لأنه كان يلهث من شدة التعب ، ثم لفظ بعض الكلمات بأنفاس متقطعة وهو يقول : هـل قمتما برفع السلالم الخشبية بعـد صعودكما ؟ هيا أنزلوها لي كي أصعد أليكما •

فأعلمته ميري بأنهما لـم يجدا أي سلم خشبي وكيف أنهما صعدا الى السطح بأستخدام الحبل ثـم رمياه لـه فقام بألتقاطه بينما أخذ التوأمان بسحبه حتى وصل الى الاعلى ، وحالما أصبح فوق سطح البرج قال لهما متعجبا : لقـد كان هنا سلم خشبي وأني لمندهش لعدم وجوده هنا ، ترى من يكون قد رفعه من هنا ؟ هل عثرتما على شيء يدل على أن أحـدا مـا كـان موجودا هنـا ؟

فأجابه ديكي : كلا لم نعثر على شيء مـــن هذا القبيل ، ولكن قل لنا أولا كيف تمكنت من الوصول الـــى هنـــا ؟

فأخبرهما نيكولاس بأن الامر لم يكن على قـــدر كبير من الصعوبة وذلك لانه قام بأستدراج مراقـــب العمال الى الحظيرة ، ثـــم أختبأ في القش بحيث لـــم يستطع المراقب أن يعثـــر عليه وعندما غـــادر الحظيرة أنتظر نيكولاس بضع دقائق ثم غادر الحظيرة ودخل الى المنزل ، ثم دعا صديقيه لكي يلقيا نظرة على ما يوجد حولهم .

وبينما هم يتطلعون الى ما يحيط بهم على سطح البرج، أذ بهم يلمحون شاحنة كبيرة قادمة من أعلى التل وتتجه نحو المنزل ، ثم شاهدوا رجلين يترجلان منها ويتقدمان ببطء عبـــر الطريق العشبي الذي يؤدي الى الممـــر ، وكان أحدهما ضخم الجثة وهو يحمل ما يشبه حقيبة العدد التي يستخدمها العمال ، وهو ينوء بحمله ، أما الرجل الآخر الذي كان يرتدي بدلة بنية فقد كان يحمل

فوق كتفيه لفة أسلاك هائلة ، وكان يبدو عليه كذلك بأن حمله ثقيل .

فأنبرى نيكولاس قائلا ، ذلك هو الرجل الذي أراد شراء أريكتنا مـــن المزاد ومعـــه الرجل ذو وجه الفطيرة ، ترى أين عساهما يذهبان ؟

فقالت ميري وهي تشير بيدها : الا توجد هنالك بئـــر ؟ فهو أذن المكان الذي يقصدانه .

وهنا أخبر نيكولاس التوأمين برأيه حول مـــا سيفعله الرجلان قائلا : أذا كان الرجل ذو البدلة البنية قـــد أنصت الى مـــا كان ديفيد يقرأه في الليلة الماضية فهو حتما قـــد سمع ما يدل على الكنز في عبارة (حيث توجد المياه) ، أما اذا لم يكن قد سمع ذلك فهو أنمـــا يخمن فقط بأن الماسات قـــد خبئت بالقرب من البئر أو فيها ومن الضروري أن نراقب هذين الرجلين كما أن علينا أن نخبر بقية الأصدقاء عن هذا الأمر ، ولكن هل يمكننا أخبار أحد رفاقنا من مكاننا هذا ؟

فنظر ديكي بأتجاه المعسكر وقال : أظر آن هناك شخصا ما ، كلا أنهما شخصان ، ترى ما الذي يفعلانه هناك يانيكي ؟ كما أرى أنهما يقومان بأقتلاع أحدى الخيـم .. ألا يمكنك رؤيـة ذلك ؟

أجابته ميري : أنا أستطيع رؤية ذلك ، وأنت على حق ياديكي ، أنهما فعلا قـد أوقعا احدى الخيم على الارض ومن الواضح أن هذين الشخصين هما عدوان يهاجمان مخيمنا لذا يجب علينا أن نذهب لانقاذه مـن براثنهما ، هيا انزلا الحبل حالا .

وبعـد أن قاموا بأستخدام الحبل للنزول مـن السطح هبطوا درجات السلم الصخرية ولما وصلوا الى نهايتها حاولوا فتح الباب ولكنهم لم يتمكنوا من القيام بذلك ، فقال نيكولاس معتذرا : يبدو أن الباب موصد بأحكام ، لذا لن تتمكن من فتحه ، على الرغم من أنني لا أذكر بأنني قـد أغلقته خلفي عندما صعدت اليكم ولكن يبدو أنني قـد فعلت ذلك من دون أن أنتبه ، وبما أن المفتاح ما يزال في الجانب الآخر مـن الباب

فأننا لن نتمكن من فتحه لان قفله من النوع الزنبركي أو ما شابه ذلك ... أنني لشديد الاسف لذلك .

فقالت ميري بحق : أنك تتأسف لنـا في الوقت الذي تعلم بأننا الوحيدون الذين علمنا أن معسكرنـا يتعرض للنهب والتخريب الآن ، فهل معنى هذا بأن غلـق الباب علينا لـن يمكننا مـن القيام بأي شيء ، لاننـا محجوزون هنـا ؟

فأومأ لهـا نيكولاس أيماءة يأس وقـال : أن الامر كذلك يا ميري ، أم ، هناك ما يمكننا القيام به ؟

الفصـــل الثـــامن

« الطاحونة القديمة »

لم يمر وقت طويل علـــى مغـــادرة نيكولاس والتوأمين المعسكر لاستكشاف المانور والارض المحيطة بـــه حتى بدأ كل من توم وديفيد الاستعداد بدورهما لرحلتهما الاستكشافية .

وقبل مغادرتهما قال توم مخاطبا رفاقه : آننـــي ما أزال أتوجس خيفة من ترك المخيم من دون حراسة ، خصوصا وأن كل حاجياتنا هنا سائبة حيث ليس بوسعنا أن نقفل عليهـــا . فطمأنه ديفيد قائلا : يجب علينا أن نجازف بترك كل شيء على حاله اليوم لاننـــا أذا لـــم نبـــادر بالعمل سريعا فسنخســر فرصـــة قـــد لا يمكن تعويضها فيما بعد ، كمـــا أنني لا أعتقد بأن أحـــدا ما سيقوم فعلا بسرقة شيء من حاجياتنا أو يحاول السطو علـــى المعسكر !

فأستدرك توم قائلا : ولكن قـــد تم تحذيرنا ، وآنـــا متأكد بأن هناك من يرغب بأبعادنا عن هنا ، وأذا كان

هذا البعض قد حصل على معلومات تفوق تلك التـــي لدينـــا ، فهم فعلا . في هـــذه الحالة أنســا يشكلون خطرا علينا .

وهنـــا تدخلت بيتر قائلة : لـــم أسمعك تتحدث مـــن قبل بمثل هذه الجدية ، واذا افترضنا أنك علـــى حـــق في مخاوفك هـــذه ، إلا أن عليك أن تتذكر بأن الرجل ذا وجه الفطيرة و الآخر المسن هما أثنان فقط . أما نحن فعددنا سبعة ، هذا اضافة الى ماكي ، لـــذا فأنني لا أرى سببا يدعوك للقلق على هذا النحو يا توم.

ثـــم انتصبت واقفة وقالت مخاطبة جيني : لقد كنت أنت التي بدأت هذه المغامرة من أولها وبما أننا قـــد وافقناك عليها فعلينـــا أذن أن نستمر فيها حتى نهايتها ، فليذهب كل من ديفيد وتوم لاستكشاف الممر الآن ، أما أنا وأنت فسوف نمضي الى الجـــزء الواقع أسفل البرج ولغاية المطحنة . وأذا مـــا عثرنا على شيء فسوف نوافيكما الى الممر بعـــد أن ننبهكما بأن نقلد لكما صفارة طائر البويت . ان ساعة يدي تشير الـــى

الثالثة عصرا ومن الافضل لنا أن نعود ونلتقي هنا ثانية جميعا عند الساعة السادسة والنصف .

فتأهب ديفيد للتحرك وقال : هيا بنا يا توم وحظا سعيدا لكما يا فتاتين .

بعد دقائق قليلة تهيأت الفتاتان لمغادرة المعسكر وبدأتا سيرهما بأتجاه ضفة النهر وكانت بيتر تقود المسيرة عبر المسلك الضيق المؤدي الى الطاحونة .

وحينما بلغتا الجزء الذي يضيق عند النهر ويصبح ماؤه أكثر عمقا ، قالت جيني لبيتر : احذري السقوط في ذلك الخندق الذي ينساب فيه ماء النهر حتى يصل الى الطاحونة .

فأمسكت بيتر بجذع لنبات العليق باحدى يديها بينما مدت يدها الاخرى الى جيني التي تشبثت بها فقفزتا الخندق معا وبعد وقت قصير ، كانتا تسيران عبر دغل من الشجيرات ، كان يشكل فيما مضى الحديقة الامامية للكوخ المهدم ، وحينما بلغتا باب الكوخ همست بيتر لجيني : أن باب الكوخ موصد

بالمسامير ولكن ربما أمكننا الدخول أليه عن طريق النوافذ المكسورة ،ولكن الظلام حالك في الداخل لدرجة يصعب رؤية أي شيء فيها .

فأجابتها جيني بصوت مرتجف : ان نوافذ الطابق السفلي أيضا قد ركبت عليها ألواح خشبية ، لذا نحن بنا حاجة الى بعض العدد كي نتمكن من الدخول اليه .

وفي الوقت الذي قامت بيتر بوضع يدها على مقبض الباب الصدء للكوخ وهي تحدق في ذلك الكوخ المهجور ، إذ بها تلتفت غريزيا لترى شابا وفتاة غريبين يقفان على بعد عدة ياردات منهما وهما يراقبانهما بصمت ، وقد كان الشاب في الثامنة عشرة من عمره تقريبا ، يرتدي قميصا من قماش ذي ترابيع وسروالا أسود ، وكان شعره الاسود يتدلى على جبينه ، فيما كانت تتدلى من شفتيه سيجارة غير مشتعلة ، أما الفتاة التي كانت برفقته ، فقد كانت ذات وجه جميل وترتدي قميصا أزرق وسروال جينز وكان واضحا ، أنهما قد قاما بملاحقة بيتر وجيني حتى الكوخ وعندما لمحتهما

جيني فغرت فاها دهشة. فأسرعت بيتر تهمس في أذنها: حافظي على رباطة جأشك يا جيني ، ثم توجهت بكلامها الى الغريبين متسائلة : ترى من تكونان ؟ وهل كنتما تتعقبانا ؟

فاجابها الشاب : لا يهمك من نكون ، المهم أننا جئنا كي نقدم لكما نصيحة تفيدكما ، ترى أين ذهب بقيـــة رفاقكما ؟

حينئذ تقدمت الفتاة من جيني وهي تقول : دعيني أخبرهما أنا بالامر يا (سيد) أني أود أن أعلمكما أننا نعرف كل شيء عن معسكركم وقـــد جئنا الـــى هنا لنحذركم وذلك لانكم ستندمون أذا لم ترحلوا من هنا وتجنبوا أنفسكم الكثير مـــن المشاكل ، وفي الحقيقة كنا نراقبكما فعلا ، ذلك لاننا نريد تحذيركم جميعا من أن هذا المكان لا يصلح لاقامة معسكركم وكل من في هذه القرية يعلم بذلك .

فسألتها بيتـــر : ماذا تعنين أنه مكان لا يصلح لنـــا ؟

فأجابتها الفتاة : حسنا دعيني أطلعك على السبب الذي يجعله مكانا مسكونا وهو لان أمرأة قد غرقت فيه منذ سنين مضت ، ويعتقد البعض أنها قـد لقيت حتفها قتلا ، ويعرف الجميع بأن شبحها قد شوهد هنا .

فأنبرت بيتر قائلة : نشكرك كثيرا على تحذيرنا ، ولكننا نعرف كيف نعتني بأنفسنا . ثم أننـا لا نصدق مـا يقال عن الاماكن المسكونة . وأني أخمن بأنكما ستدعيان لا حقا بأن كل من الطاحونة القديمة والكوخ هما مسكونان أيضا .

فتكلم (سيد) محتدما : أن هناك دائما العديد من الحمقى الذين لا يعتقدون بوجود الاشباح ، تذكرا دائما بأننا قـد قمنا بواجبنا وحذرناكما ، وقبل قليل كنتما توشكان أن تدخلا الى الكوخ ، أليس كذلك ؟

أنـا شخصيا لم أدخل أليه منذ سنين خلت لـذا دعونا جميعا نلقي نظرة ، هـذا اذا لم تكونا تشعران بالرعب ، ولكنني أرى أنه من الافضل لكلتيكما أن تنتظرا وصول رفيقيكما الآخرين .

فقالت بيتر : أنا ايضا أرى بأن ذلك أفضل ،ولكن ليس بسبب اننا خائفتان مما اخبرتمانا به ، ثم سألت الفتى فيما اذا كانت القوة بمكان بحيث يستطيع أن يخلع الالواح من على باب الكوخ .

فأستعان الفتى بكل ما يملك من قوة وأزاح اللوحين المثبتين على باب الكوخ ثم توجه بكلامه للفتاتين : أراهن أنكما الان ترتعبان من مجرد القاء نظرة على ما بداخل هذا الكوخ ، هيا تقدما ولكن تذكرا أنه مسكون ومليء بالجرذان والخفافيش . وبحركة خاطفة تنحى جانبا ودفع بيتر نحو مدخل الكوخ ثم دفع جيني وراءها أيضا ، ثم قام بصفق الباب خلفهما وأعاد تثبيت اللوحين ، مستخدما صخرة للقيام بذلك ، وقد فعل كل ذلك قبل أن تتمكن بيتر من الوصول الى مقبض الباب ، ولما أفاقت الفتاتان من تأثير المباغتة ، جاهدتا لدفع الباب في محاولة منهما للخروج ولكن من دون جدوى ، وحالما أنتهى الفتى من تثبيت آخر المسامير خاطبهما قائلا : ستبقيان هنا مدة كافية حتى تهدأ سورة غضبكما ، وأذا ما أفلحتما بالخروج قبل

أن يحل الصباح ، فمن الاحرى بكما أن تعودا من حيث أتيتما ، أي أن ترحلا من برنك وود ، فأنتما وجميع رفاقكما غير مرغوب فيكم هنـــا •

ثـــم قال مخاطبا رفيقته : هيا بنا يا حلوتي لنذهب مـــن هنا ونستمتع بوقتنا •

فضحكت الفتاة بصوت مسموع ، وعندما أختفى صـــوت وقـــع أقدامهما ، تعلقت جيني بذراع بيتـــر وأصدرت صرخة تنم عـــن مدى خوفها من وجودهما في ذلك المكان الذي كانت تصدر منه أصوات خربشة وصريـــر •

الفصل التاسـع

« الاغارة على المخيم »

توجه كل من ديفيد وتوم لاستكشاف الممر ولم يكن أي منهما يرغب في ترك الآخرين وحدهم ، وقــد كانا يتناقشان حول هــذا الامر طوال طريقهما علــى امتداد ضفة النهر حتى وصلا الى القناة . فقال ديفيد مخاطبا توم : أنا لست متأكدا من أننا نبحث في الجهة الصحيحة مــن الممر ، فأذا كانت هربيت براون قــد أتجهت الى النهر أثناء العاصفة وهي تفكر بأخفاء العقد فأني أشك بأنها قــد وصلت الى هذه الضفة ، لذا من الاجدر بنــا الآن أن نذهب لأستكشاف الكهوف .

وفي غضون دقائق معدودة عثرا على كهفين ، كان أولهما مخفيا وراء شبكة حاجزة مــن التوت لكنهما مــا لبثا أن وصلا الى مدخله المظلم الواقع في أحــد المنحدرات الجيرية ، وقــد كان الكهف صغيرا وبعمق يبلغ زهاء ستة أقدام وأرتفاع أربعة أقدام .

فقال توم : على فرض أن هربيت قد خبأت العقد هنــا ، فأن من الواضح أنها لم تكن لتستطيع أن تجد طريقها في هذا الكهف وقت العاصفة ، وكما أرى فأننا نهــدر وقتنا يا ديفيد عند هذا الجانب من النهر ، كما أننــي قلق على بيتر وجيني وهمــا في تلك الطاحونة القديمة المكتظــة بالجرذان .

بعد مرور بضع دقائق عثــر ديفيد على الكهف الثاني ، حين كانا يشقان طريقهما عنوة عبــر الاحراش النامية بين الطريق السالكة وواجهة الجرف ، كانا هذا الكهف يقع على أرتفاع يبلغ خمسة عشر قدما فــوق سطح الارض وبنتوء في مقدمة مدخله ، ثــم شاهدا شجرة نامية مقابل الجرف ، كان يبدو أن مــن السهل عليهما تسلقها ، فقال ديفيــد لتوم : ابدا انت بتسلقها أولا وعندما تبلغ أعلاها يمكنك حينئذ أن ترى ما بداخل الكهف ، أما أذا لم تتمكن من ذلك فنادي علي لكــي الحق بك وأرى ان كان بأمكان أحدنا أن يدخل الى الكهف .

فتعلق توم بأحد أغصان تلك الشجرة وقـــام بتسلقهـــا ولكنه حينما وصل الى الاعلى وأصبح بمستوى مدخل الكهف ، لم يجد فيه أي شيء يستحق الذكر ما عــدا بقايا عش عصفور وقد كان بأمكانه رؤيــة الكهف من الداخل وحتى نهايته ، فصاح مناديا ديفيد : لا يوجد أي شيء هنـــا ، ونحن نضيع الوقت سدى على هذا الجانب من النهر . والآن ياديفيد فأنني سوف أستدير حـــول جذع الشجرة لكي أصل الى جانبها الآخر . وعندما فعل ذلك بحذر أدرك أنه أمام منظر لم يكـــن يتوقعه على الضفة المقابلة للنهر . من مكانه المرتفع ذلك كان بأمكانه أن يرى المنظر بوضوح وقد كان عبارة عن شبكة من الشجيرات ينساب بينها مجرى مائي خلفي صغير وبأتساع بضعة أقدام بموازاة المجرى الرئيس للنهر ، وقد كان هذا المجرى المائي السري بمنزلة مرفأ يطفو فوقه قارب ضيق قديم ، وفي التو أخبر ديفيــد عـــن هذا الاكتشاف قبل أن ينزل عن الشجرة وهـــو يقول : دعنا يا ديفيــد نستدر لنذهب الى هناك بأسرع ما يمكننا فأنـــه مـــن المتوقع أن نجد على تلك الضفة

المقابلة من النهر دليلا ما ، وبأمكاننا أيضا أن نستكشفها بطريقة أفضل اذا ما أستخدمنا ذلك القارب ، هيا بنا .

كانت الشجيرات على الضفة الاخرى من النهر أكثر كثافة بحيث لم تدع مجالا لطريق سالك خلالها حتى الضفة ، كما أن المنحدرات الصخرية كانت شديدة الانحدار مما أستغرق منهما وقتا طويلا ليتمكنا من بلوغ القارب ، وحينما حاولا سحبه خارج المجرى وجدا أنه من الثقل بمكان بحيث تعذر عليهما ازاحته من مكانه .

فأقترح توم قائلا : دعنا نغامر بالصعود اليه يا ديفيد ، فأني لا أرى أي ثقب في قاعه ، وبوجود المجذافين فأننا سنتمكن من قيادته للوصول الى الضفة الاخرى من النهر ، ترى هل لديك معرفة بأستخدام قوارب كهذه يا ديفيد ؟

فأجابه : كلا ليس لدي أدنى فكرة حول أستخدامها ، ولكن مع ذلك دعنا نجرب حظنا ، وأهم ما يجب علينا الحرص عليه هو محاولة أبقائه أقرب ما يمكن من هذه

الضفة مـــن النهر ، فقد يكون هناك ثمة مدخل ثـــان يؤدي الى مجرى مائي آخر تخبئه الشجيرات أو حتى كهف آخر يقـــع بمستوى سطح الماء والذي سيكون ضالتنا ، وأني أوافقك الرأي يا تـــوم حـــول أرجحية قيـــام هربيت بأخفاء العقـــد على هـــذا الجانب مـــن الممـــر ، فدعنا نشرع بالعمل فورا .

فصعد الى القارب بهدوء وبدآ بمحاولة تحريكه بأستخدام المجذافين على الرغم مـــن أنهما كانا ثقيلين وسهلي الانزلاق ، ممـــا جعل التجديف بهما عملا غير مجد ، لكنهمـــا كانا مسروريـــن لان ما مـــن أحـــد يراقب محاولاتهما الصبيانية للسيطرة على القارب الثقيل، كما أنهما كانا يواجهان صعوبة بالغة في محاولة ابقائه بوضع مستقيم أو التقدم بشكل ضد التيار ، وقد أمضيا نصف ساعة وهما يحاولان الوصول الى أعلى النهـــر حيث تقطعه القناة ، ولما بلغا هدفهما ، كانا مرهقين جدا وفي حالة مزاجية متعكرة ، مما جعل ديفيد يقول لتوم: أننا نضيع وقتنا سدى فدعنا نعـــد بهذا القارب اللعين حتى ضفة النهـــر ونتركه هناك .

لكن توم أكد له بأن مـــن الايسر عليهما قيادة القارب اذا ما توجها بـــه نحو آسفل النهر مما سيمنحهما فرصة لاستكشاف جانب المسر من جهة المانور .

وهنا عاد ديفيد ليقول : أني أعتقد بأننا سنموت غرقـــا قبل أن تسنح لنا الفرصة لاكتشاف شيء مـــا ، ولكن بما أنك تبدي كل هذه الدرجة من العناد فأنني سأوافقك على رأيك ، فدعنا نمضي في طريقنا .

فعادا الى التجذيف ثانية وبينما كان توم يحاول أبقاء القارب بصورة مستقيمة أنزلق المجذاف من يده وسقط في النهر ، فمال بجسمه محاولا الامساك به الا أن المجذاف أنجرف بعيدا متجها نحـــو آسفل النهر . عند ذلك أصبح مـــن الصعب عليهما التحكم بالقارب بمجذاف واحد ، فجرفهما التيار الى القرب من شاطيء النهر ولما حاول تـــوم أن يتشبث بحزمة مـــن النباتات النامية هناك لم يفلح في ذلك بل أنه جرح يـــده جـــراء محاولته الخائبة تلك ، كما أخذ التيار يؤرجح القارب ويديره قاذفا به الى وسط النهر ، ولما سأل (ديفيد) توم

فيما اذا كان من الافضل لهما ترك القارب والعودة الى شاطيء النهر سباحة ، أجابه تــوم : دعنا نبق في القارب آملين أن لا نلجـأ الـى الاستعانة بالسباحة للوصول الى الشاطيء الا عندما نضطر الى ذلك أضطرارا • ظل القارب يتأرجح ثـم اندفع بفعل القـوة الهائلة لتيار الماء نحـو الجسر المقوس فحاول ديفيد أن يصد قـوة الماء بمجذافه وذلك في محاولة منـه لابقاء القارب في خط مستقيم ولكنه فشل في ذلك ولما مـر القارب من تحت الجسر صدر صوت عال بفعل ارتطام مؤخـرة القارب التـي تحطمـت جـراء أصطدامها بالجـزء الحجري مـن الجسر • فتسربت المياه الـى القارب الذي عاد يتأرجح في بقعة يتسع فيها مجرى النهر وبعد قليل اصطدم بصخرة ملساء فظل على أثرها ساكنا في مكانه وهو يطفو فوق لوح خشبي وسط النهر •

فقال ديفيد : أن من حسن حظنا أن الآخرين لم يرونا ونحن نفعل هذا كله ، وعلينا أن لا ننسى يا توم أن نسأل نيكولاس فيما لو أنه كان يعرف صاحب هذا القارب الذي قام توا برحلته الاخيرة ، أما الان فدعنا

نعــد الى المخيم لكي نطمئن مــن أن كل شيء على ما يرام وكذلك لنستبدل ثيابنا المبللة بأخرى جافة .

فشرع توم بالسير على اللوح الخشبي حتى وصل اليابسة وهو غاية في الحزن والاسف ثــم قال لديفيد : أني أعتذر عن كل ما حدث ، لقــد كانت حقا غلطــة مني ، يبدو أننا أكثر حذقا ومهارة عندما نعالج الامور ونحــن على اليابسة منــا ونحن في مياه النهر ، لكننا سنعود أدراجنا الى الممر حالما نستبدل ثيابنا .

ولكنهما لم يتمكنا من العودة الى الممر في صخرة ذلك اليوم نفسه فبينما هما يخوضان في المياه الضحلة وسط النهر ويتقافزان من صخرة الى صخرة ، كان توم يتســاءل عــن المكان الــذي يمكــن أن تكون فيه كل من بيتــر وجيني ، وفي هــذه الاثناء سمعا صرخة جعلتهما يتخبطان وهمــا يخوضان في الميــاه بأتجاه الشاطيء ، وكان ديفيد أول مــن وصل اليه ولدهشته فقــد رأى شابا وفتاة يحاولان تخريب معسكرهم .

وقد كان الشاب منهمك في فك حبال احدى الخيم بينما كانت الفتاة تقوم بأفراغ محتويات احدى حقائب الامتعة على العشب وبصرخة هائجة انـدفع ديفيـد نحوهما يتبعـه تـوم فصرخت الفتاة محذرة رفيقها الذي حملق فيهما فاغرا فمه وممسكا بسكين في يده ، لكنه وبتصرف جبان ركض مسرعا وراء رفيقته التي سبقته بالعدو هاربة بأتجاه الجسر ، لكنه لم يكن منتبها بما فيه الكفاية فتعثر بحبل احدى الخيم وسقط أرضا على وجهه ووقعت السكين من يده ، مما مكن ديفيـد من اللحاق بـه وقال يخاطبه لاهثا : هيا أنهض على قدميك . ثـم وجه كلامه لتوم : باستطاعتي أن أتدبر أمره وحدي ، أما أنت فألقي بسكينه في النهر . ثـم سأل ديفيد الفتى : مـن تكون ؟ ولم كنت تعبث بمعسكرنا ؟ أنت تعلم أنـه بأمكاناتنا الان أن نستدعي الشرطة فتلقي القبض عليكما .

وبينما هم على هذه الحال ، اذ بهم يلمحون جيني وبيتر وهما تتجهان نحوهما قادمتان مـن جهة النهـر

وكانت بيتر تستند في مشيتها الى كتف جيني وهي تلهث وتعرج وقد لفت كاحلها بمنديل •

ولدى انشغال ديفيد بالنظر اليهما ، آذ بالشاب بباغته بأن وجه لـه لطمة عنيفة الى وجهه وتحت عينيه تماما : ثم أستدار راكضا موليا الادبـار ، لكن تـوم تمكن من الامساك به قبل أن يتمكن من الهرب،فعاجله بكلمة أوقعته أرضا : ثم ألقى بكامل ثقله عليه •

فقال لـه ديفيـد : أمسـك بـه جيدا يا تـوم وسوف نبت في أمره عما قريب ، ثم أتجه نحو بيتر وهو يمسك بيدها ليساعدها على السير وسألها : ما الذي أصابك ؛ فنظرت أليه وقـد أمتلأت عيناها الزرقاوان بالدموع • فقامت جيني بالاجابة نيابة عنها : هذا هو الفتى نفسه الذي قام بخداعنا يا ديفيد وكانت بصحبته فتـاة أيضا ، حيث قاما بدفعنا بالقوة داخل الطاحونة القديمة ثـم أوصدا بابها علينا وقد جرح كاحل بيتـر بزجاج مكسور حين كنا محتجزتين هناك ، وقد قالا لنا قبل أن يتركانا هناك بأنهما سيعملان على تقويض مخيمنـا •

فقال ديفيد لجيني : اعتني أنت ببيتر يا جيني ، أما أنا فسأتولى أمر هذا الفتى .

ثم أشتبك معه في عراك لم يستمر طويلا ، حيث تمكن ديفيد في آخره من طرح غريمة أرضا بعد أن سدد اليه الضربة الثانية على الرغم من أن هذا الاخير كان أكبر منه حجما وحينما نهض الفتى على قدميه وهو يصرخ ويتوعد عاجله ديفيد بكلمة مباغتة واضعا فيها كل قوته ، عند ذلك الحد قال له توم : دعه يذهب يا ديفيد ويكفي ما ناله من ضرب حتى الآن .

فلما كف ديفيد عن ضربه نهض هذا الاخير وسار وهو يتعثر في مشيته ، سالكا الطريق المؤدي الى المرعى ومن ثم الجسر ، فأثنى توم على ديفيد قائلا : أحسنت عملا يا ديفيد ، فبعد الذي لحق به الآن ، لا أعتقد بأنه سيفكر بالعودة الى هنا ثانية .

فقال ديفيد : من المحتمل أن لا يعود ، لكن المشكلة التي تواجهها يا توم هي أننا لم نعرف من عساه يكون ، أو من أين أتى .

ولدى عودتهما الـــى أرض المعسكر وجـــدا بأن كاحل بيتـــر لم يكن مصابا اصابة خطيرة ، بعدما قامت جيني بتنظيفه مـــن الدماء التي كانت تحيط به ، ثـــم قام تـــوم بأيقاد نار المعسكر وبدأ بأعادة ترتيبه بعـــد التخريب الذي لحق بـــه ، وبعد أن أتـــم عمله قـــال مخاطبا الفتاتين :

أما الآن فأريدكما أن تقصا علينا ما فعلتماه ومـــا حدث لكما وأنتما عند الكوخ المسكون والطاحونة ؟ ولكم كنت أتمنى الآن لـــو أنـــي لـــم أقترح عليكما الذهاب الى ذلك المكـــان .

فقالت جيني مذكرة أياه : سيكون علينا أن نقص الحكاية ثانية عند عودة التوأمين ونيكولاس الذين لم أنفك أساءل عمـــا حدث لهم ، فقـــد حـــل المساء ولم يعودوا بعـــد .

فأجابها توم مطمئنا أياها : لابد أنهم سيعودون عندما يحل وقت العشاء وعلى أيـــة حـــال دعونا الآن نتنـــاول بعض الشاي .

وأثناء ذلك قصت كل من بيتر وجيني عليها كيف أنهما أحستا فجأة بأن هنالك من يراقبهما ثم كيف تـم خداعهما وأغلاق باب الكوخ عليهما .

وواصلت جيني حديثها وهي في أشـد حالات الانفعال : لقـد كنت حقا في غاية الرعب عندما حبسنا داخل الكوخ فقد كنا نسمع أصواتا مخيفة تصدر من مكان ما في الطابق العلوي ... ولم نستطع حينها من أن نحدد تماما كنه ذلك الصوت . ثم أكملت بيتر كلام جيني قائلة : لقد كان حقا أكثر الاصوات التي سمعتها رعبـا ، مما جعلنا نقبع في مكاننا ونحن نرتجف خلف الباب الموصدة ، ورحنا نصلي متضرعتين ، أن لا يكون هنالك شخص مختبيء في الطابق العلوي ، وعلى الرغم من شدة خوفنا فقد تمكنا أخيرا من أن نستعيد بعضـا مـن رباطة جأشنا للوصول الى الطابق العلوي حيث تبين لنا بأن مصدر الصوت لم يكن الافرع شجرة كان يحتك بالشباك بفعل الريح العاتية التي كانت تهب هذا اليوم ، وعلى أية حال فنحن سوف لا تفكر في الدخول ثانية الى ذلك المكان ، كما أنني لا أعتقد بأن هربيت قد

تكون قد ذهبت في ليلة عاصفه الى مكان موحش مثل ذاك ، واننا لنعد أنفسنا محظوظتين حقا عندما تمكنا من الهرب منه •

ثم نظرت جيني الى ديفيد وقالت له : بما ان بيتر لا تتمكن من الحركة وأنت قد جرحت ، فلم لا تبقيان أنتما هنا لكي يعتني بعضكما من بعض ؛ بينما يأتي توم معي لنبحث معا عن رفاقنا الاخرين اذ كان من المفروض أن يكونوا قد عادوا الىالمعسكر منذ وقت طويل •

ثم قال توم : كم اتمنى ان لا يكون التوأمان ونيكولاس قد وقعوا في مأزق ما ، دعينا نبدأ بحثنا في المانور أولا يا جيني ، ولنأخذ معنا مصباحا يدويا •

وفعلا غادر توم وجيني المعسكر وراحا بجهد يتسلقان التل المنحدر ، متجهين نحو المانور ولدى وصولهما الى قمة التل نظرا الى الاسفل نحو المانور المهجور وتساءلت جيني : أين عساهم يكونون يا توم ؟ فأنا لا أستطيع رؤية شيء من هنا ، ولكنني واثقة من

أنه بأستطاعتهم رؤيتنا من المكان الذي هم فيه الآن . دعنا نذهب الى المنزل عدوا،فهم سيكونون حتما هناك، وفعلا قاما بالركض نحوه ، فجذب أنتباه جيني شيء ما فوق الشرفة المنفرجة للبرج كما لو أنه أشارة قام بوضعها من أصابتهم محنة ما ، ولم يكن الا قميص ديكي الذي أستخدم لهذا الغرض ، وحالما وقع نظر سجناء البرج على توم وجيني بدأوا يصفون لهما بواسطة الصراخ من أعلى البرج ، كيف يمكنهما أن يصلا الى الغرفة ذات الباب الموصد ، فأتبعا الوصف الذي ذكره لهما سجناء البرج حتى بلغا الباب ، وقد أبتهج توم عندما وجدا المفتاح لا يزال في مكانه داخل قفل الباب ، فقاما بأدارته ، وعندما فتح الباب أندفع نيكولاس وماكبث نحو توم يتبعهما كل من ميري وديكي .

وكان ديكي اول من بدأ بالكلام قائلا : نحن نعلم بأن أمورا عديدة قد حدثت فقد كان بأستطاعتنا رؤية كل شيء من مكاننا هنا في أعلى البرج ، وأملي أن كل شيء ، هو الان على ما يرام .

بعـــد ذلـــك قـــام نيكولاس بأخبار توم وجيني عـــن الرجلين اللذيـــن كانـــا يحمـــلان المعـــدات والحبل وهما في طريقهما الى البئر ، وكيف أنـــه مـــن المحتمل بأنهما ما يزالان هناك ، لـــذا حث رفاقه على الذهاب الى حيث ذهبا لمعرفة ما الذي يفعلانه .

وعندما بلغـــوا البئر ، تنشقوا الهواء المنعش ، المنبعث مـــن العشب الرطب . ولـــم يشاهدوا الرجلين هناك ، لـــذا أقترح ديكي على رفاقه أن يقوموا بألقاء جميع المعدات في قاع البئر ، لكن توم رفض ذلك قائلا: كلا نحن لـــن نفعل ذلك حيث أنـــه لن يفيدنا بشيء ، لأنهما يقومان بمحاولة يائسة لافراغ جميع ما في البئر مـــن مـــاء لاعتقادهما بأن العقد قد يكون موجودا في قاعها ، وبما أن الليل قـــد أرخى سدوله فقد توقفـــا عن العمل ، فدعونا نحن أيضا نترك المكان ، وسنعود إليه في الغد ونراقب ما سيفعلانه .

وعندما وصلوا الى المعسكر جلسوا طويلا حول ناره ، بعد أن تناولوا عشاءهم ، وأخيرا نهضت جيني

وهي تقـول : سآوي الآن الـى فراشي ، وفي الغد سيكون كـل شيء أفضـل مما كان عليه اليوم وربما تمكنا مـن العثور على الكنز الذي نسعى إليه •

وحذا الآخرون حذوها بأن ذهب كل منهم الـى فراشه ونام ، أما بيتر فقد ظلت مستيقظة في فراشهـا مـدة طويلة ، إذ جفاها النوم ، ولم تكد تغفوا بعض الوقت حتى أستيقظت وهي ترتجف لرؤيتها حلما مزعجا في منامها ، فنهضت مـن فراشها وأزاحت طرف الخيمة ونظرت خارجها ، فخنقت صرخة كادت تصدر عنها ، أثر رؤيتها لشبح شخص، كان واقفا على شاطيء النهر •

الفصل العاشر

الفصل العاشـر

« نيكولاس ... الرهينـة »

ارتعش قلب بيتسر رعبا عنــد رؤيتها للشكل الغريب المتخفي وهو شاخص في ضوء القمر ، فحدثت نفسها ، بأنه مــن المحتمل أن يكون أحد أولئك الذين يحاولون أجبارهم علــى مغادرة برنك وود ، فغادرت فراشها زاحفة لكي توقظ جيني أو أحد رفاقها الآخرين، ولكن صدرت منها أنــه ألم لم تستطع أن تكتمها لانها ضغطت على كاحلها المصاب ، وقد سمعها الغريب وهي تئن فتحرك من مكانه وسمعته يناديها بأسمها وبهمس بصوت أجش وعندئذ فقط تبين لها ، أنــه لم يكن الا ديفيد مرتديا معطفا مطريا وقــد ألقى ببطانية علــى كتفيــه .

فصاحت بــه غاضبة : أيها المعتوه ، مــا الذي تفعله هنا ؟ لقد أفزعتني حتى ظننتك شبحا .

فرفع ديفيــد البطانية عــن كتفيه وألقاها علــى كتفيها مدثرا اياها ، ثم قال : وأنت مــا الذي أيقظك

مــن النوم ؟ هيــا اذهبي وارتدي معطفا ثــم عودي الى هنا ، لاني أود محادثتك بشيء يجول في خاطري ، حاولي أن لا توقظي الآخرين •

فعادت بيتــر الى خيمتها حيث ارتــدت بنطلونا وبلوزة ثــم لحقت بديفيد الــى شاطي النهر وكان قد فرش معطفه المطري على الارض الرملية فجلسا عليــه ، ثــم بدأحديثه قائلا :

— لقــد تولد في داخلي أحساس لا يبشر بخير حول هذا النهر الذي لم يجلب لنا سوى المتاعب، فما الذي تعتقدين أنه يتحتم علينا بــه يا بيتر ؟ أنا لا أحبذ فكــرة الاستسلام وترك كل شــيء خاصة وأن أولئك الرجال مستعدون للقيام بكل مــا يمكن أن يخطــر على البال في سبيل العثور علــى الماسات ، فما عسانا فاعلون يــا بيتــر ؟ فأجابت بيتر على سؤاله بسؤال : هل تعتقد حقا أن لدينا فرصة مواتية للعثور على العقد ؟ وماذا عــن البئر ؟ أذا كان هذان الرجلان قــد تجشما

كل هــذا العناء لافراغ مياهه ، فهل لانهما على علم بأمور نجهلهـا نحــن ؟

فأجابها ديفيــد موضحا : أن افراغ الآبار مــن مياهها ليس بالامر الهين يا بيتر ، وأني على ثقة مطلقة ، من انهما عندما سيعودان اليها في الغد فأنهما سيجدنها مليئة بالماء ثانية ، ذلــك لان الابار لا يتــم حفرهــا ألا حيث توجد عيون المياه التي تتغلغل مياهها عبــر جدران البئر من خلال الشقوق الموجودة ما بين الصخور في باطن الارض ، وأذا كانا يجهلان هذه الحقيقة فانهما من البلهاء ، كما أنني لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن لرجلين أن يملاءا مياه بئر كبيرة كهذه وحدهما •

: دع أمــر البئر جانبا الآن ، وقل لي هل تعتقد بأن هنالك بارقة أمل في عثورنا على العقد ؟

قال : أن ذلك ممكن مــع توفر القليل من الحظ ، ولكن قبل كل شيء كما يعتقد تــوم ، فأن علينا أن نصب أهتمامنا على محاولة العثور على الجزء المتبقي مــن رسالة هربيت •

فقاطعته بيتـر : ولكن قـد لا تكون قد كتبت أي جزء مكمل ، وعلى كل حال دعنا لا نستبق الاحداث الآن ، ولنقرر ما ينبغي علينا القيام بـه في صباح الغد ، حيـث سنكون في ذلك الحين بحال أفضل مما عليـه نحـن الآن .

فوافقها ديفيد على ما قالته ونهض واقفا ثم سارا عائدين الى المعسكر وقـد استندت الى ذراعه .

وعند الثامنة صباحا نهضت بيتر من نومها وهي تتثـاءب ، ثـم تذكرت كاحلها المصاب الذي كـان ما يزال يؤلمها ، لكنها غالبت ألمها وتوجهت حيث كان أصـدقاؤها يجلسون حول نار المعسكر وهم يتناولون فطورهم ، وحالما انتهوا ، تحلقوا حولها جميعا لكـي يعاينوا كيف أصبح حـال الجرح ، ثـم خاطب ديفيد نيكولاس قائلا : لابـد أنك بالتأكيد تعرف طبيبا في برنك وود فهل لك أن تصطحب بيتر معك الى القرية ؟ لان علينا أنـا وتوم بحراسة المعسكر ، إذ يجب أن لا نتركه ثانية من دون حراسة .

فأجابه نيكولاس : طبعاً ياديفيد فان الدكتور (هارفي) طبيب دمث الاخلاق وسأخبره أن بيتر هي صديقة عزيزة علي ، هل أنت على أستعداد للذهاب الآن يابيتر ؟ ثم هل سنذهب الى هناك سيرا على الاقدام أم على دراجتينا ؟

فأجابته : سوف نذهب على الدراجات يانيكي ، على الرغم من أن قيادة الدراجة قد يؤذي كاحلي . إلا أنها أسرع في أيصالنا مما لو ذهبنا سيرا على الاقدام .

ثم صعد كل منهما على دراجته ورافقهما ديفيد حتى الجسر وقبل ان يودعهما قال :

أتركا دراجتيكما في المكان الذي أفرغنا فيه السيارات التي كانت محملة بحاجيات معسكرنا ، ثم حاولا أن تحصلا على توصيلة مع احدى السيارات المارة ، ثم عودا إلى المعسكر بأسرع ما يمكنكما ، وفي مدة غيابكما سنحاول أنا وتوم أصلاح التلف الذي لحق بالزورق القديم ، بينما يحل رفاقنا الآخرون محلنا في حراسة المعسكر حتى عودتكما ، الى اللقاء .

فقـاد نيكولاس وبيتـر دراجتيهمـا صاعدين الرابية ، ثـم هبطا أسفل المنحدر وكانت بيتـر أثناء ذلك تحاول تحريك دراجتها بقدمها السليمة تاركة القدم الثانية تتدلى بحرية . لكنها سرعان ما سلمت بأن من الاسهل عليها لو أنها سارت بدل أن تستخدم دراجتها، ثـم وصلا الى المكان الذي ذكره لهما ديفيد لاخفـاء دراجتيهما . فركناها فيه وسارا في المسلك المؤدي الى الطريق العام . فقال لها نيكولاس مطمئنا : لا تقلقـي يـا بيتـر فأننا سنتمكن من الحصول على توصيلـة مـع احدى السيارات المـارة ، أنظري هـا هي ذي شاحنة خباز قادمـة نحونـا .

فأقلهما سائق الشاحنة معه حتى أوصلهما الـى عيادة الطبيب في برنك وود ، وهنا ترجل الاثنان مـن الشاحنة وشكرا سائقها . كانت السماء حينذاك ملبدة بالغيوم وبينما هي تدخل عيادة الطبيب قال لها نيكولاس وهـو ينوي الدخول معهـا : بعد أن نغادر عيـادة الطبيب سأخذك في جولة عبر القرية ، لانه لم يسبق لك رؤيتها من قبل . لكـن بيتر لـم توافقه على هذا

الرأي وقالت لـــه : كلا يا نيكولاس من الافضل لـــك أن تنتظرني خارج العيادة ، وليس عليك ألا أن تذهب لشراء بعض الخبز ، ثـــم بأمكانك أن تقف على جانب الجسر وتتفرج على السمك الذي يتراقص في النهر ، حتى أعود وألاقيك هناك ، أما أذا طال بقائي في العيادة اكثر من ساعة ، فبأمكانك أن توافيني فيهـــا •

ولم تنتظر بيتر في عيادة الطبيب طويلا، اذ سرعان ما جاء دورها فدخلت الى غرفة الطبيب الذي قام بتعقيم الجرح وخاطه بغرزتين ثـــم حقنها بحقنـــة وطلب منها أن لا تجهد كاحلها مـــدة ثمان وأربعين ساعة • ثـــم غادرت العيادة وهي تعرج وعلى الرغم من ذلك فأنهـــا كانت أكثر ابتهاجا بكثير مما كانت عليه عندما دخلتها، فأتجهت نحو الجسر تبحث عن نيكولاس تحت احدى الدعامات ، لكنهـــا لـــم تعثر على أثر لـــه ، فذهبت الى مخزن الخباز للاستفسار عنـــه ، لكن المرأة التي كانت تدير شؤون الفرن أخبرتها أنـــه قد أشترى منها الخبز وغادر الفرن منذ نصف ساعة تقريبا ، ثم سألت عنه في ثلاثة محال تجارية أخرى مجاورة ، وذهبت الى

مكتب البريد وعيادة الطبيب وسألت عنه ثلاث نساء كن يسرن في الشارع ولكن ما من أحد ، صادف أن شاهده . وأخيرا عادت أدراجها ثانية الى الجسر فلم تجده هناك ، فأحست بالغضب والانزعاج ، لأنه تبادر الى ذهنها ، أنه من المحتمل أن يكون قد مل من أنتظارها فتركها وعاد الى المعسكر . لذا قررت العودة بدورها ، فبدأت تسير قافلة ثم توقفت على جانب الطريق العام بأنتظار مرور أحدى السيارات لكي تقلها الى حيث كانت قد ركنت ونيكولاس دراجتيهما. خلال توقفها هناك استغرقت في التفكير مقلبة أمر اختفاء نيكولاس من جميع الاوجه ، لكنها كانت كلما أمعنت التفكير بالامر ، كانت نفسها تحدثها بأن نيكولاس لم يكن ليعود أدراجه من دون أن يكون هنالك سبب مهم يستدعي ذلك ، وكانت تتساءل كذلك مع نفسها ترى لماذا لم يترك رسالة لها في عيادة الطبيب ؟ ، وبينما هي متجهة بأفكارها على هذا النحو ، تناهى الى سمعها صوت منبه احدى السيارات التي كان يقودها رجل مسن وتجلس زوجته الى جواره .

فأبتسما لبيتر يدعوانها الى الصعود معهما لايصالها ، فلبت دعوتهما شاكرة • بعـد مـرور عشرة دقائق ، ترجلت من السيارة وسارت قليلا الى المكان الذي توجد فيـه دراجتها ، فوجدت الى جوارها دراجة نيكولاس أيضا . مما جعلها تتساءل في قرارة نفسها عن السبب الذي دعـا نيكولاس لان يتركها هناك ، وعند هـذا الحد أصبح الامر كله بالنسبة لها بمنزلة لغـز بحاجة الى حل ممـا جعلها تشعر بالقلق الشديد ، وبينما هي في طريقها الى المعسكـر لم تجـد أيا مـن رفاقها في الطريق المؤدي اليه ؛ لكنها أخيرا أهتزت جذلا عندما لمحت جيني واقفة على الجسر ، فبادرتها قائلة من علـى الجسر : لقد عدت سريعا يابيتر ولكن أين نيكولاس ؟

: ألم يعد الى المعسكر بعد ؟ يا ألهي يبدو أننـي قـد أضعته حقا يا جيني ، ولا يمكنك أن تتصوري كم بحثت عنه من دون جدوى ، ثم ركبت أحدى السيارات معتقدة أنـه قـد عاد أليكم قبلي ، لكنني فوجئـت عندما وجدت دراجته ما تزال في مكانها ، حيث خبأناها بالقرب من الطريق العام •

فقالت جيني : مــن الافضل لنــا أن نخبر ديفيد وتوم في التــو .

كان الصبيان يعملان فوق سطح القارب بالقرب مــن شاطيء النهر وبيد كل واحد منهما أحدى عــدد العمال ، لكنها عندمــا شاهــدا بيتــر أسرع ديفيــد لملاقاتهما ، بينما كانت مطرقته مــا تــزال في يــده ، فبادرها متسائلا : ماذا قال لك الطبيب يا بيتــر ؟ وكيف أنت الآن ؟

: أنــا على خــير ما يرام ، شكرا لك يــا ديفيد ولكنني قــد أضعت نيكولاس وأنا في غاية القلق عليه.

ثم بدأت تسرد لهم الحكاية كلها وانهتها قائلة : لا أستطيع مجرد التفكير بما يمكن أن يكون قد حدث لــه ، فقد وعدني بأنه سينتظرني فوق الجسر ، ولست أعرف ما الذي لحــق به حقا ، لقــد بدأت أبغض هذه المغامرة بأكملها ، ذلك لان العديد من الامور المؤسفة أخذت تتوالى علينــا بسببها من دون أن نجــد لهــا تفسيرا مــا ، هل لكم أن تخمنوا بما يمكن أن يكون قــد حدث لنيكولاس ؟

وقبل أن يــرد أحــد عليها بشيء : سمعوا نباح ترحيب يصدر من ما كبث الذي كان يعدو راكضا نحو بيتــر ورفاقها يصحبه التوأمان .

فقال ديكي مرحبا بها : أهلا بيتر كيف حالك ؟ لدينا بعض الاخبار المهمة التي نريد أخبارك بها ،ولكن لــم يبدو الجميع على هذا النحو من الوجوم .

فأجابه ديفيد بأقتضاب : لقــد أختفى نيكولاس ونحن قلقون عليه ، فهل صادف أن رأيتماه ؟

فأجابته ميري : كلا لم نصادفه ، لكــن دعونــا نخبركم أولا بما فعلناه وما رأيناه ، ثــم تخبرونا أنتم عــن نيكولاس ، فبينما كنــا نراقب المانور ونحــن مختبئان فوق قمة التل اذ بعربة كبيرة تقف بالقرب منا فنزل منهــا الرجلان اللذان شاهدناهما أمس وأسرعا بأتجاه البئــر .

وفيما كانوا جميعا يصغون بأنتباه لمــا كانت تخبرهم ميري بــه ، بحيث أنهم في غمرة ذلك غفلوا عن ملاحظة بعض الذين كانوا يتسللون الى معسكرهم . كان ديكي

يتوسل بأخته كي تسمح لـــه أن يكمل الحديث فقال : لقد راقبتهما وهما يتجهان نحو البئر وعلى الرغم من آننـــا لم نتمكن من سماع أي شيء مما كانا يقولانه ، ألا أنه كان من السهل علينا رؤية الحيرة التي أرتسمت علـــى وجهيهما عندما وجدا أن الماء الذي كان في البئر قـــد عاد الى المستوى نفسه الذي كان عليه سابقا ، أي قبل أن يبدا بأفراغ مياهه •

فقال ديفيد : أني أراهن على أن هذا هو ما حدث فعلا ممـــا جعلهما يستثيران غضبا ، ترى هـــل أحسا بوجودكمـــا ؟

فأعترف ديكي بخنوع ، بأن هذا قد حدث فعلا، لســـوء الحظ •

وقبل أن يعلق الاخرون بأي شيء على ما سمعوه ، نبح ماكبث وبدأ يعدو مندفعا فنظروا جميعا الى حيث أتجـــه فنشاهدوا (بلاندش) بوجهه الممتليء الشاحب يقف على بعد بضعة أقدام منهم حاملا قضيبا حديديا بيده ، فصاح بهم قائلا : أنصتوا الي جيدا أني أعلـــم

بأنكم قد أضعتم صديقكم نيكولاس ، وأذا ما كنتم ترغبون في رؤيته ثانية فعليكم أن تحزموا حاجياتكم وترحلوا من هنا ، وأذا ما تأكد لي حقا أنكم قد غادرتم هذا المكان ، عندئذ سأنظر في أمـر ذلك الصبي •

فتحداه تـوم قائلا : كيف لك أن تعرف مكان نيكولاس ؟ هل قمت باختطافه ؟ اذا كنت قـد فعلت ذلك ، فأعلم بأننا سنتوجه الان الى أقرب هاتف ونخبر الشرطة بذلك • ثم سأل ديفيد قائلا : هل تذهب أنت يا ديفيد أم أذهب أنا للقيام بذلك ؟ فتدخل بلاندش قائلا بأستهزاء : عندمـا تتبلور عندي القناعة الكافية بأنكم قـد غادرتم برنك وود ، فانـي حينذاك فقط سأطلق سراح نيكولاس •

فسألته جيني متشككة : ومن أدرانا بأنك ستفي بوعدك هذا ؟

فأجابها بثقة : أنتم مجبرون على أن تثقوا بي لان عمة الصبي ستغضب منكم كثـيرا اذا ما علمت بأمـر اختفائـه •

فخاطب ديفيد رفاقـه بصوت مسموع قائـلا : أبدأوا منذ الان بحزم الحاجيات اذ أننا سنترك هـذا المكان لعدم وجود بديل آخر أمامنا ، خاصة وأنا أعـد نفسي مسؤولا عن نيكولاس ، ثم أتجه الى أقرب خيمة وبدأ بفك حبالها ، فيما راح يحث بقية الاصدقاء على الاستعداد للرحيل •

عندئذ قال بلاندش : يبدو أنـه قد ظهر عليكم أخيرا بعض التعقل ، ـ ثم وجه كلامه لديفيد قائلا : أصغ لي أيها الفتى بأمكانك أن تنتظرني فوق الجسر في برنك وود جيس عند الساعة السابعة مساءا ، لكنني أريدك أولا أن ترسل بقيـة رفاقك الى منازلهم • ثم ترك المكان وهـو يهز القضيب الحديدي الذي كان يحملـه •

فغمغم ديفيد قائلا : أبداوا بالاستعداد ودعونا نفك حبال الخيم وذلك لكـي نوهمه بأننا منشغلون بالعمل فعلا ، اذا ما أستدار الـى الوراء ونظر ألينا ، وبهذا يطمئن الى أننـا عزمنا فعلا على مغادرة المكان •

وبعد أن تأكد ديفيد مـــن أن بلاندش قد أبتعد عنهم ولم يعد باستطاعته رؤيتهم ، وكان رفاقه منهمكين بالقيام بما طلبه منهم ، اذ بــه يرفع رأسه ضاحكا لكي يقول لهم : يا لكم من مجموعة من الاصدقاء السذج، أعلموا بأننا لن نغادر هـــذا الممر وكل ما في الامر . هـــو أننا سنحزم أمتعتنا هنا لمجرد أن نبحث عن مكان آخـــر نعسكر فيه ، ومنـــه سنستمر في مراقبة هذين الرجلين حتى نصل الى معرفة مكان العقد ، كما أننـــي أريدكم أن تطمئنوا الى أننا سنعثر على نيكولاس .

فأقتربت منه بيتـــر معتذرة وهي تقول : أرجو أن تسامحني يا ديفيد ، لان ثقتي بك قد أهتزت وانت تطلب منا حزم حاجياتنا ومغادرة المعسكر .

فطيب ديفيـــد خاطرها وقـــال ضاحكا : دعونا جميعا ننسى كل ذلك وعلى أية حال ، فأن هذا يدل على أني اصلح كي اكون ممثلا ، والان أسرعوا بأقصى ما يمكنكم لكي ننتهي من حزم حاجياتنا ومغادرة هذا المكـــان .

وفيمـــا كانوا يواصلون تفكيك الخيم وحـــزم الحاجيات ، راح ديفيـــد يخبرهم بخطته وكيف انـه يعتقد بأن نيكولاس محتجز في مكان ما من القرية ، والتي من المؤكد بأن الرجل ذا الوجه الفطيرة ورفيقه يسكنانها . وكيف أنه واثق من ان نيكولاس قد خدع حتما حتى تمكنوا من الامساك بـــه ، وقـــد أقترح أن يتوجه كل من جيني وتوم والتوأم الى برنك وود على دراجاتهم لكي يقوموا بأجراء المزيد من التحريات، وتابع كلامه قائلا : كما أن لدى فكرة ثانية ، وهي أن القارب قـــد أصبح الان صالحا للاستعمال ، بعد أن أصلحنا العطب الذي أصابه ، وبما أننـــا قـــد عثرنـــا على المجذاف الذي سقط في النهر يوم امس ، فقـــد أصبح مـــن الممكن أن نستخدم القارب لعبور النهر ، وسيكون ذا فائدة كبيرة لنـــا ، لاننـــا سنستطيع أن ننقل حاجياتنا على متنه ، وبما أننا أيضا نمتلك حبلا يبلغ طوله زهاء عشرين قدمـــا فأنا أقترح أن نحاول سحب القارب نحو مجرى النهر حتى نصل الى القناة ثـــم نحاول أن نربطه في أحد جوانب المانور المطلة على

النهر خلف الاشجار حيث وجدناه أنا وتوم ، اما الآن فدعونا نحمل كل حاجياتنا ونجتاز الجسر ، ثم نحاول أن نقود القارب عبر النهر قبل أن نحمله بتلك الاشياء .

بعد مرور نصف ساعة ، كان اعضـاء المجموعـة يتكئون على متراس الجسر المقوس والـى جوارهـم دراجاتهم ما عدا ديفيد وتوم اللذين تمكنا بصعوبة من سحب الزورق عبر المياه الضحلة حتى وصلا به شاطىء النهر ومن ثم قاما بسحبه حتى اوصـلاه تحت قنطـرة الجسر وهنا اندفع أصدقاؤهما الواحد تلو الاخـر الى الشاطىء لكي يتعاونوا على ابقاء القـارب في وضـع مستقيم ، ثم قاموا بتحميله بحاجياتهم ثم قاموا بسحبه حتى القناة حيث ربطوه هناك الى جذع شجرة نامية على ضفة النهر ، ثم ذهب التوأمان وتوم وجيني لاحضار الدراجات التي كانت فوق الجسر ، بينما بقيت بيتر مع ديفيد يتباحثان في كيفية نقل القارب الى الضفة الاخرى من النهر واخفائه هناك .

وقد حدثها ديفيد بمخاوفه قائلا : ان المشكلة يابيتر تكمن في انه لدينا مجذاف واحد فقط واذا ما جازفت

معك في عبور النهر وجدنا فأننا قد ننتهي حتما الى حيث وصلنا انا وتوم يوم البارحة •

قالت : ان هذا لن يحدث يا ديفيد اذا ما قمت انا بالسباحة وانا ممسكة بحبل السحب فيما تقوم انت بقيادة القارب بمجذاف واحد نتمكن من نقل القارب الى الضفة الاخرى •

وقد حاول ديفيد أن يعترض على كلامها مذكرا اياها بكاحلها المصاب ، لكن جميع محاولاته تلك لاثنائها عما عزمت عليه ذهبت سدى ، وبما انه كان يعلم علم اليقين من انها سباحة ماهرة وافضل منه في هذا المجال ، فقد اقتنع بان فكرتها منطقية ومعقولة ، وقد جاء اقتناعه ايضا بفكرتها بسبب من انه كان شديد القلق على نيكولاس ، كما انه قدر بأن القارب يجب ان يخفى عن الانظار قبل ان يقوموا بأيجاد موقع جديد لمعسكرهم وفي أسرع وقت ممكن •

لدى عودة الاخرين مصطحبين دراجاتهم معهم ، كانت بيتر قد نزلت الى الجرف وقامت بوضع حقيبة

حاجياتها مع منشفتها داخل القارب ، وقبل ان يشـــرع الرفاق بعملية البحث عن نيكولاس خاطبهم ديفيد قائلا : اذا وجدتم نيكولاس عودوا الى هنا بأسرع ما يمكنكم وأعطو اشارة طائر البويت لمناداتنا ، اما اذا لم تجدوا اي دليل على مكان وجوده في غضون ثلاث ساعات ، فـلا داعي لكي تنتظروا مدة اطول بـل عـودوا الى هنـا وسنكـون أنا وبيتر بأنتظاركـم ، حيث سنختبيء في مكان ما ، بالقرب من هنا •

فقال توم موافقا : سنفعل ما طلبت منا يا ديفيد ، كما اننا سنعثر على نيكولاس ، لكننا لن نغادر من هنا حتى نطمئن على سلامة وصولكما الى الضفة الاخرى من النهر ، فحظا سعيدا لكما والى الملتقى •

فأبتسمت بيتر لهم وودعتهم قائلة : حظا سعيدا لكم انتم ايضا •

ومن ثم قام ديفيد بدفع الزورق من مؤخرته وهو يقول لاصدقائه : أخفوا دراجتينا في الاحراش بالقرب من هنا ، فلربما نحتاجها بعد ان نقوم بأخفاء القـارب والعودة الى هنا •

اخيرا لوح الجميع لهم مودعين ، ثم اندفعوا فوق دراجاتهم قاطعين الطريق المؤدي الى الشـــارع العـام الموصل الى قرية برنك وود جيس . ولم يكن أحد منهم قد سبق له زيارتها من قبل ، ولما وصلوا بالقرب مـن محطة الباص ، اقترح عليهم توم ان يتركوا دراجاتهـم تحت الاشجار الموجودة هناك ثم قال : سوف نقسم انفسنا الى فريقين ، ستأتي ميري معي ، بينما تذهـب جيني مع ديكي ، ومن ثم يتجه كل فريق نحو احـد جانبي الشارع الرئيس .

فسألته جيني : هل يمكننا ان نسأل عن نيكولاس، بأن نذكر اسمه ؟ لانني اعتقد ان جميع من في قرية برنك وودجيس يعرفه .

فأجابها توم بالايجاب ، ثم تحرك الفريقان ، كـل منهما في اتجاه ، وقد تمكن فريق ديكـي وجينـي من الوصول الى دليل عن مكان وجود نيكولاس ، وذلك عندما دخلا محل قصاب لكي يسألاه عما اذا كان قـد شاهد صديقهما نيكولاس وايت فلاور ، فسمعت امرأة كانت تتبضع داخل المحل حديثهما واكدت لهما بأنها قد

شاهدته صباح ذلك اليوم بينما كانت تنتظر وصول الباص يتكلم مع سائق شاحنة تستخدم في اعمال هدم البيوت وبعد هنيهة صعد الى الشاحنة ، كما اخبرتهم تلك الشاحنة تقف كل يوم عند مدخل خان بلاندش المسمى (الجرسين) • فشكراها على تلك المعلومات ثم ركضا ليلحقا بتوم وميري اللذين هرعا بدورهما نحوهما فأطلعاهما على تلك المعلومات المثيرة ، بعدئذ قرروا أن يبحثوا عن خان الجرسين في الحال •

فمشوا حتى وصلوا نهاية شارع (صن لين) وهناك التقوا ، (سيد) ولاحظوا كيف أنه لم يكن يبدو على ما يرام فقد كان انفه محمرا وانفاسه تتلاحق لاهثة ، فحدثته جيني قائلة : مرحبا سيد ، لكم يسرنا ان نراك هنا ، لاننا لا نعرف كيف نجد طريقنا في هذه القرية لكي نعود الى منازلنا ، كما ان دراجاتنا موجودة هناك تحت الاشجار •

ثم اكمل توم حديثها قائلا : في الحقيقة ، لقد عزمنا على مغادرة هذه القرية فقد نالنا الكثير من الاذى هنا ،

اليس كذلك يا جيني ؟ مما ادى بنا لان نسل من كل هذه المشاكل ، وواصلت جيني الكلام مؤكدة : اننا قد أصابنا السأم تماما ، حتى اننا قد كرهنا الاقامة في المعسكر ، وقد تولدت لدينا قناعة . بأن علينا أن نكون على وفاق مع كل الناس . وهذا ما يذكرني بصديقنا نيكولاس ، ترى الم تصادفه ؟ انه ذلك الفتى الجميل ، الذي لا نعرف اين هو الآن ، لكنه على الارجح قد مل صحبتنا . وطوال هذا الوقت ظل سيد يرمش بعينيه فاغرا فمه ، اذ لم يكن كل هذا الحديث ذا معنى لديه ، وأخيرا ابتسم توم قائلا : حسنا وداعا الآن يا سيد ، اذ لا اعتقد بأننا سنلتقي ثانية . ثم قال مخاطبا رفاقه : هيا بنا ايها الاصدقاء ، لان أمامنا الكثير للقيام به قبل ان نلتقي بقية الاصدقاء .

فأدرك اصدقاؤه مرماه ، وتبعوه . بينما استدار سيد وبدأ يعدو في شارع (صن لين) وعلى اثر ذلك ، طلب توم من ميري أن تتبعه بنظرها لكي يعرفوا اين

سيتجه ؛ فأنعمت النظر خلفه وهو يستدير في المنعطف ثم قالت هامسة : ان ما يمكنني ان اتبينه هو انــه قد اتجه الى فندق الجرسين وهو الفندق نفسه الذي اخبرتنا المرأة عنه وبأن الذي يمتلكه شخص يدعى بلاندش ، وقد كان هذا الرجل مهتما بالمانور ، وربما يكون هــو نفسه الذي ندعوه بالرجل ذي وجه الفطيرة ، كمــا ان هذا الفتى سيد ، قد يكون ابنه .

فأيدها توم في هذا الاستنتاج بأن قال : من المحتمل انهما قد خدعا نيكولاس واستدرجاه الى ذلك الخان . ثم ذكر كيف ان بلاندش كان يعلم بأختفاء نيكولاس حين جاء الى معسكرهم هذا الصباح ، بعد ذلك دعــا رفاقه لان ينتظروا عودته ، لان في نيته ان يقوم بألقــاء نظرة على الفنــدق .

ولما عاد بعد عشر دقائق ، اخبرهــم قائــلا : ان الفندق مغلق الآن ، لكنني تمكنت من رؤية نيكولاس.

وهو محتجز في احدى الغرف الخلفية ، وقد اشار لـي ليفهمني بأنه لا يتمكن من فتح النافذة ، الا انه يوجد سلم خشبي في باحة الفندق . فهيا بنا ؛ علينا ان نسـرع بالتحرك ، اولا سيقوم التوأمان بالدخـول من الباب الامامي لكي يشاغلا من قد يكون في الداخل . اما نحن فسوف نطلق أشارة البويب حالما نصل الى نيكولاس، عندئذ عليكما ان تقوما بترك الفندق وغلق بابه خلفكما لكي نعود معا الى الممر بأقصى سرعة ممكنة ، من دون أن ندع أحدا يرانا ، ولا تنسوا دراجاتكم ، اما نحن فسنأخذ على عاتقنا موضوع اخـراج نيكولاسـس من سجنه .

وفعلا ، كانت عملية انقاذ نيكولاس تقريبا ببساطة الخطة التي وضعها توم ، فقد بدأ التوأمان باختلاس النظر عبر النافذة الخارجية للخان فشاهدا (سيـد) يتحدث مع المرأة التي سبق ان حذرتهم من البقـاء في المعسكر وحثتهم على مغادرته ، فطرقا البـاب ، ولما فتحه سيد ، اخذ يصرخ بهما حالما وقع نظره عليهما وهو يدعوهما لمغادرة المكان فورا ، لكنهما فجأة من دون ان

يفطن لهما سيد اصبحا داخل الخان ومعهما كلبهما ماكبث ، كما لم يتمكن من الاتيان بأية حركة لكي يعيق دخولهما . ومن ثم طلبا من السيدة بلاندش ان تبيعهما بعض قناني البيبسي كولا وبعض أكياس البطاطا المقلية، ذلك لانهما سيذهبان مع اصدقائهما في سفر طويل ، وأثناء ذلك تناهى الى سمعهما صوت زجاج يتكسر ، فذهب ديكي من فوره الى المذياع واداره لكي يغطي على ذلك الصوت ولكي لا ينتبه الفتى او امه الى ماكان يحدث في الطابق العلوي للفندق ، كما انه لاحظ وجود مفتاح معلق في قفل الباب المؤدي الى المطبخ ، ولهذا بينما كانت ميري تعمل على مشاغلة عدويهما ، وضع هو المفتاح في جيبه من دون ان ينتبه احد لذلك .

ولما سمع التوأمان صوت الصفارة المتفق عليها ، وهي تصدر عن الاصدقاء وقتذاك يقفون في الشارع ، تطلع نحو اخته لكي يسترعي انتباهها الى المفتاح الكبير المعلق في القفل ، فأندفعت من فورها خارجة ، بينما قام ديكي بتحويل انتباه بلاندش وامه بأن تظاهر بأنه يحادثهما فلما ادارا رأسيهما نحوه قام بالقاء احدى

منفضات السجائر نحو القناني الموجودة بالقرب منهما فوق المنضدة الكبيرة ، ومن ثم دلف بدوره خلال الباب الذي خرجت منه شقيقته توا ، ثم أدار المفتاح في القفل وأوصده خلفه • بعد ثوان قليلة كان التوأمان يركضان خارج الفندق وهما يشعران بالزهو والانتصار ، وفي الوقت نفسه كان كل من تـوم وجيني ونيكولاس ينعطفون نحو شارع (هاي ستريت) ؛ وفي غضـون عشرين دقيقة وصل التوأمان بدراجتيهما الى الطريـق المؤدي للسر بسلام •

اما بقية الرفاق فقد تمكنوا من انقاذ نيكولاس على النحو التالي ، فقد قام كل من توم وجيني اولا بحمل السلم الثقيل بعد ان بذلا جهدا كبيرا . وعندما اسنداه الى حائط الفندق ، تبين لهما بأنه اقصر من ان يصـل نافذة الغرفة التي حبس فيها نيكولاس بعدة اقـدام ، لكنهما جازفا على الرغم من ذلك حيث وقفت جيني عند أسفل السلم وأمسكت به لكي يظل ثابتا بينما تسلق توم واشار لنيكولاس لكي يحطم زجاج النافذة من الداخل بواسطة احد الكراسي ؛ ومن ثم نزل عن السلم ووقف

مع جيني على بعد كاف بحيث لا يصيبهم شيء من الشظايا المتناثرة للزجاج المحطم ، وعندما انجز نيكولاس ما طلبه منه الاخير بتسلق السلم ثانية ، ولما اصبح في اعلاه تماما ، راح يشجع نيكولاس لكي يدلي جسمه خارج النافذة حتى يتمكن توم من الامساك به ومساعدته على الخروج ، ولما اطمأن نيكولاس الى انه لا توجد خطورة ما من جراء ذلك ، أخرج جزءا من جسمه الى الخارج فتلقفه توم ونزلا السلم معا ، واخيرا صعد نيكولاس مع توم على دراجته ، ولم يتفوه الا ببضع كلمات كان يكيل من خلالها اللوم لنفسه ، لانه تصرف بنحو مغفل ، مما سمح للاشرار بالاحتيال عليه واختطافه، عندما كانت بيتر في عيادة الطبيب حين كان ينتظرها هو فوق الجسر ، فقد شاهد شاحنة لعمال تهديم المنازل ، فتقدم منها وسأل سائقها ان كان يعرف رجلا يحمل مواصفات الرجل ذي وجه الفطيرة ، فأكد له السائق بأنه يعرفه تمام المعرفة ، كما يعرف مكان سكناه وبأمكانه ان يدله عليه ، وقد بدا الرجل ودودا ولم يكن في تصرفه ما يريب ، فصعد معه وجلس قربه في مقدمة الشاحنة ،

الآن انه ادرك بعد فوات الاوان بأنه قد ارتكب خطأ فادحا . فعند وصولهما فندق الجرسين ، قام السائق بأخراج نيكولاس عنوة من داخل الشاحنة ودفعه بعنف نحو الصالة ، فلم تسنح له فرصة للنجاة ، خاصة وان بلاندش والرجل ذا البدلة البنية كانا موجودين هناك . وقد بدت الدهشة عليهما وهما يشاهدان نيكولاس بصحبة السائق ،وقد حاول عبثا الافلات من قبضتهم ،الا ان جميع محاولاته باءت بالفشل ، ولما انهى نيكولاس سرد قصة وقوعه في قبضة الاعداء ، كان اول ما ود معرفته ، هو كيف اصبحت حالة بيتر الصحية ، فأجابته جيني مطمئنة : انها الآن بانتظارنا على متن الزورق وهي في اتم صحة ، كما اننا نعد الآن لاقامة معسكر جديد لنا .

ولما وصلوا الى المكان الذي اعتادوا ان يخبئوا دراجاتهم فيه ، ركنوها هناك ثم توجهوا نحو شاطىء النهر ، لكنهم لم يجدوا اثرا للزورق ، وبينما هم هناك اذ بهم يشاهدون على الضفة الاخرى بيتر تخرج من بين الشجيرات ، فصاحت بهم من مكانها مرحبة بهم : انه

لامر رائع حقا ان تعودوا وبرفقتكم نيكولاس . والآن أصغوا جيدا لما سأقوله لكم ... بما اننا لم تتمكن أنا وديفيد من توجيه الزورق بسبب شدة التيار لذا عليكم جميعا ان تصعدوا الى الجسر المقوس وتقطعوه واحدا اثر واحد ، وان تتأكدوا جيدا من ان لا احد يراقبكم . وخصوصا من فوق التل ، وسيقوم ديفيد بملاقاتكم حالما تقطعوا الجسر ، احرصوا على ان لا تحدثوا اية ضجة . وعند سماعهم ذلك تبادر الى ذهنهم، بأن بيتر وديفيد لابد ان يكونا قد عثر على معسكر سري جدا ؛ ولهذا كان يبدو بأن الجزء الاكثر اثارة في مغامراتهم قد ازف وقته .

ولما بدأوا المسير في طريقهم باتجاه الجسر ، جذب انتباههم رؤية فتاة ترتدي سروالا قرمزي اللون وهي تتبعهم بدراجتها . ثم توقفت بالقرب من القناة ؛ ترقب تقدمهم الحثيث صوب الجسر المقوس ، وكان الشيء الذي حير الجميع هو انهم لم يتمكنوا من معرفة ما وراء تلك الفتاة التي كان يبدو عليها انها كانت منذ ان هموا بمغادرة القريــة .

الفصل الحادي عشر

« الكهـــف »

انتشلت بيتـر نفسها من الماء ثم وقفت عند ضفـة النهر تجفف نفسها من قطرات الماء التي كانت تنهمل من كل جزء من جسمها في حين كان ديفيد يوجه الزورق متغلغلا بـه عبـر شبكة مـن الشجيرات ، نحو مرفأ سري صغير . وبعد أن جففت جسمها تماما ، قامت بيتر بفك حبل الزورق الذي كان مربوطا حول معصمها ، ثـم ربطته حول جذع شجرة قريبة ، ولما انتهت مـن ذلك ، طلبت مـن ديفيد أن يرمي لها بحقيبتها لكـي تستبدل ملابسها المبتلة بأخرى جافة ، وكان ديفيد في هذا الوقت قـد تمكن من سحب القارب الى شاطيء النهر ، ولما انتهى مـن ذلك سأل بيتـر عن حال كاحلها فأجابته بأنه يؤلمها قليلا على الرغم مـن أن المسافـة التـي قطعتهـا سباحة كانت هينة ، ثم أستأذنته لكي تذهب لاستبدال ملابسها خلف الشجيرات وبعد بضع

دقائق عادت اليه وبادرته قائلة : أن المكان هنا يشبـه الدغل ، لذا فأنا لا أعتقد بأنه يصاح أن يكون المكان المناسب لمعسكرنا الجديد ، ترى ما هي خطوتك التالية يـا ديفيـد ؟

فأجابها : دعينا نذهب الى البئر أولا لكي نراقب أولئك الرجال مـن جديد ، وسنقوم أثناء الطريق بتعيين المكان الملائم لمخيمنا ، وأني آذكر أنه توجد غابة صغيرة على قمة المرتفع ، وهي ليست ببعيدة عـن البئـر •

فبدآ سيرهما ببطء شديد لكي تتمكن بيتـر أن تأخذ قسطا مـن الراحة من حين الى حين وذلك بأن تستند الى جذوع الاشجار ، وقـد كانا يشقان طريقهما بصعوبة حتى وصلا قمة المرتفع في الغابة الصغيرة وهما في غاية الارهاق فجلسا علـى الارض الصخرية لكي يلتقطا أنفاسهما : وبعد أن أستراحا قليلا ، قال ديفيـد لبيتـر : أنتظريني هنا لانني أرغب في ان أتوغل عبـر هـذه الغابة حتى أتبين موقعنا منها فعلى حـد علمي أننـا قـد أصبحنا قريبين مـن البئر ، ولو أنني أود

لو كان أقترابنا منهـــا أقصى ما يمكننا لكي تتمكن أن نرى بوضوح ما يفعله الرجلان هناك . واعتقد أنــك لا تمانعين اذا مــا تركتك وحدك هنا بعض الوقت . أليس كذلك يا بيتـــر ؟

فأجابته بيتـــر على الفور : طبعا أنا أمانع كثيرا ولكن بمـــا أنني لست في مزاج يسكنني من التوغل في الغابة معك . لذا سأضطر لان أبقى هنا وحدي ، لذلك عليك أن تسرع بالعودة ما أمكنك يا ديفيد . لانني قلعة على رفاقنا الاخرين وخصوصا على نيكولاس .

ولما غادرها ديفيـــد بقيت بيتـــر وحدها خمس عشرة دقيقة ، لكنها بدت لها وكأنها ساعة كاملة ، ثــم سـمعت صفارة الاشارة المتفق عليها تصدر بصـــوت خافت فأجابتها بالمثل ، لانها أدركت بأنها كانت صادرة من ديفيد الذي كان يحاول أن يحدد مكانها ، وبعـــد بضع ثوان رأته يخرج من بين الاشجار ، فأصبحا وجها لوجه وسرعان ما كان يجلس بجانبها وهـــو يقول :

— لقد كان الرجلان عند البئر • وفي البدء لم أتمكن من سماع ما كانا يقولانه لانني كنت أقف عند حافة الغابة ، لكنني قمت فيما بعد بالزحف ببطء نحو مخبأ يكمن ما بين البئر والاشجار حيث أختبأت خلف الشجيرات •

قالت له : واصل كلامك يا ديفيد وأخبرني عما كانا يفعلانه وما قالاه ؟

فواصل ديفيد كلامه قائلا : لقد كان الرجل ذو وجه الفطيرة والاخر المسن ذو البدلة البنية . الذي من المحتمل أن يكون رئيس العصابة ، يعملان على سحب المياه من البئر بواسطة دلاء مثبتة برافعة ، ثم يفرغان تلك المياه في قناة قاما بشقها ، وعلى ما يبدو فأنهما عازمان على أفراغ البئر مما فيها من مياه ، وقد تمكنت من سماع كلامهما من مكاني خلف الشجيرات•

— : هل قالا شيئا ذا أهمية ، يمكن أن يفيدنا في تحرياتنا ؟

— : أجل لقد سمعت الرجل ذا وجه الفطيرة يسأل الرجل المسن عن سبب عدم طلبهما المساعدة من مراقب

عمال الهدم الذي يدعى (بيتس) وذلك لكي يعيرهما مضخة تسكنهما من سحب الماء على نحو أفضل وبطريقة أسرع . فأجابه الرجل الآخـــر متسائلا ، لم لا نشرك شخصا آخر معنا في الكنز ؟ فرد عليه بأن اثنين يكفيان وقــد دفعت لـ (بيتس) الحد الآن ما يكفي من المال لكي يظل صامتا وينفذ ما أطلبه منه ، كما أنني قــد أعطيت رجاله مالا فقام أحدهم بأختطاف الطفل الصغير وايت فلاور ••• ان المشكلة تكمن في أنك لم تعتد أن تعمل بجد يا سيمون ، أجل هذا هو الاسم الذي أطلقه على الرجل ذي وجه الفطيرة ، وعلى أثــر ذلك أنتاب سيمون هياج مخيف ثم صرخ محتدا بأنه لا يسكن أن يتصور كيف يسكن أن تصل السذاجة بالانسان الــى هذا الحد بحيث يرمي بعقــد من الماس الثمين في بئــر ، وهنا يأتي الجزء المهم في حديثهما يا بيتــر ، إذ فقــد الرجل المسن الذي يدعــى (هاري) أعصابه وبــدأ بالصياح فسمعته يقول ، لا تكن أحمق هكذا ، أنــك لم تعرف (هرييت براون) كمــا عرفتها أنــا ، فقــد ألتقيتها مرارا عند هذه البئر ، كما أذكر أنها كانت تلجأ

الى هذا المكان كلما ألمت بها أزمة أو مأزق ما . كــم مــرة يجب أن أخبرك بأن أولئك الصبيان قد وقعت بأيديهم رسالة كتبتها هريبيت الي وقد سمعتهم يقرأونها كلها حيث كانت آخر كلماتها كالاتي ‏.. سوف أخبيء العقــد حيث توجد المياه ‏.. ؟ ألا يسكنك أن ترى بأنها لو كانت قد أكملت رسالتها فانها من المحتمل أن تكون قــد ذكرت ... حيث توجد المياه في البئر العميقة ؟

فكان رد سيمون : أننـــا نضيع وقتنا هنا سدى يا هاري ، وقد كان ينبغي علينا أن نأخذ أولئك الصبية بالشدة حتى نجبرهم على أن يخبرونا بكل ما يعرفونه عـــن هذا الامر ، وكذلك أن يطلعونا على تلك الرسالة التي بحوزتهم . لقد كنا حقا غاية في اللين معهم منـــذ البدء ، وقد تساهلنا كثيرا في هذا الموضوع ، الآن إما أن نطلب من (بيتس) اعارتنا احدى مضخاته أو أنني سأذهب الى تلك الصبي وايت فلاور وأجبره على أن يبوح لي بكل ما يعرفه عن موضوع العقد . وأنا أقسم بأنه على علم حتما بالكثير مما نجهله نحن .

على هذا المنوال كان الحديث يجري بينهما يـا بيتـر . وقد كانا على درجة من الهيجان بحيث لم يدركا خطورة ما كانا يقولانه ، ان أجزاء اللغز المبعثرة بدأت تتلملم وتكتمل ، أليس كذلك ؟

فربتت بيتر على ظهره قائلة : أجل ، أنها لكذلك ، فقد تأكد لنا الآن بأن نيكولاس قد أختطف من قبل الرجل ذي وجه الفطيرة ، الذي يسكن في القرية حتما ، الا أن أهم ما توصلنا أليـه حتى الآن هـو أن الرجل المسن المقيت ذا البدلة البنية هو الذي حرض هربيت علـى سرقة العقد . ثـم غادر القرية لكي لا يثير الشكوك ، ترى أين أمضـى كل تلك السنين ؟ ولم عاد الان أدراجه؟ وما هي علاقته بالرجل ذي وجه الفطيرة ؟ وماذا عسانا الآن أن نفعل ؟ لم يجب ديفيد علـى أي من تساؤلاتها تلك بل خاطبها قائلا : علينا الآن أن نعثر أولا على مكان يصلح لاقامة مخيمنا عليه،وكما تعلمين فنحن لن نجروء على أقامته في هذه الغابة لانها قريبة جدا من الاعداء ، على أيـة حال دعينا نقم بجولة أستطلاعية قـد تساعدنا في العثور على ضالتنا . لنبدأ سيرنا بأتجاه الجسر أولا

ومن ثم نعود أدراجنا هنا لكي نتوجه نحو القناة ... هناك شيء آخر يا بيتر ، ترى مـــن يكون كل أولئك الذين حاولوا اخراجنا من المكان الذي كنا نخيم فيه ؟ تلك المرأة ذات الاقراط التي أنذرتنا بالسوء والشاب الذي أغار على مخيمنا برفقة الفتاة .

قالت لـــه : انك على حق يا ديفيد . ترى مـــن عساهم يكونون ؟ أن حدسي يؤكد لـــي بأننا سوف نتوصل الى معرفة كل شيء عنهم في القريب العاجل ، أما الآن فأعتقد أن علينا الذهاب للقاء رفاقنا الآخرين على الرغم مـــن أننا قد أتفقنا معهم على أننا سنتحرك باتجاههم حال سماعنا لصفارة توم التي ستصلنا مـــن مكان ما من الممر ، وأننا حقا سنكون محظوظين جدا أذا ما استطعنا العثور على مكان يتسع لاقامة مخيمنا الجديـــد فيـــه .

بعـــد ذلك سار الاثنان بأتجاه الغابة وهما يشقان طريقهما عبـــر حزام ضيق مـــن الاشجار الواقعة ما بين مرعى عائلة وايت فلاور والممر ، ثم أجتازا بعض قنوات

الري الجافة ، أخيرا ولشدة دهشتهما وصلا الى قنـاة ري أعمق واوسع مـن مثيلاتها ينساب عبرها مجرى مـن المـاء الطيني •

فهمس ديفيـد لبيتـر : ان هذا لغريب حقـا ، أن هـذا المجرى المائي لابـد آن يكون مصدره أحد الينابيع التي لـم تجف بعـد ، لكنني لست أفهم أن ماءه ليس رائقا بل موحلا ! فتدفقت الكلمات مـن فم بيتر وهي تقول : أكاد أقسم بأن هذا المجرى ليس الا المنفذ الذي ينساب عبره الماء الذي يسحبه الرجلان من البئر ، أنظر ياديفيد كيف أنـه أصبح رائقا الآن على الرغم مـن أن تيـاره ضعيف ، وليس عليك سـوى الانتظـار ريثما يفرغون في القناة المزيد مـن ميـاه الدلاء مـا سيجعل هذا التيار يقوى ويندفع بشدة • فأيدها ديفيد في استنتاجها قائلا : أنك محقة يا بيتـر فمن المحتمل أننـا قـد بلغنا الجهة المقابلة للبئر ، أذ يبدو أن الرجلين قـد شقا تلك القناة التي تمتد حتى تصب في هذا المجرى ، دعينا ننتظر لنرى ما سيحدث بعـد قليل •

وفجأة أستدار ديفيد وعلى وجهه أرتسمت ابتسامة عريضة وهو يقول : ها هو تيار الماء يندفع قادما عبر المجرى وهذا يدل على ان الرجلين ما يزالان يعملان على أفراغ البئر من مياهها ، لنتبع مسرى الماء حتى نعرف أين يصب في النهر •

فمشيا معا مع أمتداد المجرى نحو أسفل التل ، ثم أدلى ديفيد برأيه قائلا : يبدو لي أن من الممكن لنا أن نستخدم هذا المجرى ، لانه يمثل طريقا سالكا بين أعلى المنحدر واسفله فوافقته بيتر على كلامه هذا وهي تواصل سيرها فيما كان ديفيد يتقدمها ، وظلا يلاحقان المجرى المائي في أنسيابه وهو ينحدر أسفل التل حيث يأخذ الوادي بألاتساع ، ولو أنه كان على قدر أكبر من السعة لكان يصلح أن يصار الى أستخدامه كموقع سري لاقامة مخيمهم ، ألا أن كثافة الاشجار كانت من الشدة بحيث لم تمكنهما من الرؤية لمسافة تزيد على المتر أو المترين أمامهما•

وعلى حين غرة صدرت من ديفيد صرخة ثم اختفى ، كما لو أن الارض ماءت تحت قدميه ؛ وفي

التــو أنحنت بيتــر بجسدها نحو الامام ونظرت عبر الدغل الممتد على طول المجرى، ولدهشتها رأت ديفيد ممددا على ظهره داخل أخدود ضيق ، يتناثر فيه ماء المجرى على ارتفاع يقارب الاربعة أقدام .

فسألته بقلق : هل أنت على ما يرام يا ديفيد ؟

وهنا نهض ديفيد ببط وقد ابتل سرواله ، وهــو يشعر بدوار ، فأجابها : أعتقد أنني بخير ، قفي حيث أنت يا بيتر ولا تنزلي الى هذا الاخدود ، فعلى ما أظن، أن المجرى المائي ينساب عبر أنبوب ، وسأقوم الان بالتحقيق من صحة هذا الظن .

فوقفت بيتــر تراقبه وهو يتجه ببطء نحو الامام ثم أنحنى وبدأ يتقدم زاحفا على يديه وركبتيه ؛ وبعد قليل صاح مناديا بيتر : أن الماء ينساب متجها نحو أحد الكهوف الذي يغلق مدخله جزئيا حجر كبير ، والآن سآتي اليك لاساعدك على النزول الى داخل الاخدود، ولكن أحرصي على عدم ترك أي أثر يدل على أننا قد أتخذنا هذا المسلك لكي نصل الكهف .

وعند عودته الى حيث كانت تقف ، مـد ديفيد لها يـد المساعدة لكي تنزل الى الاخدود الذي كان عرضه زهاء ثلاثة أقدام وطوله ثمانية أقدام ، وعنـد النهاية البعيدة حيث يتلاشى الماء تحت الارض وجدا نفسيهما أمام حجر هائل ، كما لو أنهما كانا يقفان داخل قبـر ذي جدران حجرية .

فهمس ديفيـد قائلا : أصغي يا بيتر ، يمكنك اذا مـا أملت رأسك قليلا بالقرب مـن الجـزء السفلي لتلك الصخرة الكبيرة أن تسمعي صوت أنسياب ماء المجرى عبر نفق أو كهف ، والان حاولي أن تمعني النظر جيدا ومن ثم أخبريني عما يمكنك رؤيته أسفل هذا الحجر . فبذلت بيتر جهدا كبيرا لكي تقلل أقصى ما يمكنها من الثقل الواقع على كاحلها وهي تنتصب واقفة على قدميها في الاخدود وقد أطبقت ساقيها ، وقـد مكنتها وقفتها تلك من أن تكتشف وجود نفق تحت الحجر ينساب المجرى المائي عبره ، دائرا حـول الحجر الكبير الذي كان يحجب مدخل الكهف جزئيـا .

وقــد كان ذلك النفق شبه عمودي ، فأدركت بيتر وهي تمعن النظر في الجزء الواقع أسفل الحجر بأن ذلك الحجر لو لم يكن هناك ، لكان مدخل الكهف من السعة بمكان بحيث يكفي لمرور شخص نحيف خلاله الــى داخل الكهف •

ثم سألها ديفيد عما يمكنها رؤيته مــن مكانها فأجابته قائلة : لا شيء سوى ضوء رمادي وهذا الضوء يــدل على وجود كهف هناك في الداخل ولا بــد أن لــه مدخلا آخر أو فسحة ما ، مما يسمح لضوء النهار لأن يتخلله ، وأنني أعتقد يا ديفيد أن بأمكاننا أن نحشر جسمينا عبر هذا المدخل ولكن علينا أولا أن نحرك هــذا الحجر قليلا ، لذا أفترض بأن علينا أن نذهب لاحضار حبل ومصباح يدوي ، كمــا ينبغي علينا أن نتقدم أكثر من حافة المنحدر هناك وسوف أقوم أنــا بالتسلق أولا الى أعلى الحجر •

وهنا طلب ديفيد من بيتر أن تنتظره ريثما يعود، فقبعت وحدها ترقب المكان وتراءى لها ، كما لو أن تغيرا ما قــد طرأ على الضوء الرمادي ، حيث أصبح

خافتا ، ثم سمعت صوتا عميقا يناديها وقد طغى هذا الصوت بنبراته على صوت الماء المتساقط بالقرب منها. وكان ذلك الصوت يناديها بالكلمات التالية : بيتر هل يمكنك أن تسمعيني ؟ لقد عثرت على كهف رائع ، هيا أصرخي بأعلى صوتك اذا كنت تسمعيني .

فاجابته : أجل ياديفيد أنني أسمعك هلا أتيت الي لتخبرني بما لديك ؟

عندئذ أصبح صوته مسموعا بوضوح أكبر وهو يقول : يجب أن تأتي لتشاهدي انت نفسك يا بيتر ، فقد عثرت على ما كنا نسعى اليه حقا ، ولكن أبقي الآن حيث أنت وسأحضر أنا لاساعدك على الصعود الى الاعلى .

وبعد دقائق قليلة عاد اليها وقفز الى الاخدود ثانية وهو يقول : لقد حالفنا الحظ حقا يا بيتر ، ذلك لان الكهف من السعة بمكان بحيث يتسع لكي نقيم فيه مع رفاقنا جميعا ، كما أن المدخل مخفي خلف شجيرات تنمو أسفل حافة صخرية . ويمكننا من مكاننا

في ذلك الكهف أن نراقب ما يحدث في الممر ، كما يبدو بأن هناك مسلكا يقـع بجانب الكهف ، يمكن لنا أن نستخدمه الى الممر ، وبعد أن نقيم معسكرنا هناك فأننا سنعيّن أحد رفاقنا رقيبا عند حافة الغابة لكي يقـوم بمراقبة مـن قـد يكون عنـد البئر ، والآن ، كيف يمكننا يا بيتر أن نخرجك من هنا من دون أن يؤدي ذلك الى ايذاء كاحلك ؟ قال ذلك ثم أقترب منها أكثر ووضع ذراعيه حول خصرها ورفعها من داخل الاخدود الى الاعلى بمنتهى الحذر ومن دون أن يؤدي ذلـك الى أن تضغط على كاحلها ، ثـم صعد المـى الاعلى وتقدمها وهو يدور حول الحجر الكبير ثم ارتقيا نتوءا صخريا عرضه أربعة أقدام تقريبا ، يقع فوق الحافة التي يجري فيهـا الجدول في قنـاة ضيقة قبـل أن ينحدر في الممـر .

قال ديفيد محذرا وهما يلجان الى الكهف : كوني حذرة كي لا يصطدم راسك بسقف الكهف ، لانه ليس مرتفعا ولكن يمكنك ان تدركي ان مساحته من الكبـر بحيث تتسع لنا جميعا ، ولذا سوف نصطحـب بقيـة

الأصدقاء الى هنا في اقرب وقت ممكن • وقد ظل ديفيد واقفا فوق النتوء الصخري في حين دخلت بيتر الى الكهف الذي كان فعلا كما وصفه لها ، يصلح لان يكون مخيما سريا نموذجيا ، ثم قالت مذكرة اياه : ان المشكلة تكمن في كيفية صعودنا ونزولنا من الممر الى هذا الكهف ، لذا عندما يعود الاخرون ومعهم نيكولاس ، هذا اذا كانوا قد عثروا عليه ، فعليهم ان يتعاونوا معا في مهمة حمل متاعنا الى هذا المكان ، والآن لنعد أدراجنا يا ديفيد وعسانا نعثر على اي اثر لهم •

فتقدمها ديفيد وهما يسيران باتجاه النهر ، وعلى الرغم من ان الكهف كان من النوع المنحدر مما يؤثر على صلاحيته للاستخدام كمكان للمبيت الا انه كان يمتاز من ناحية ثانية بكونه محجوبا عن النظر لمن يتطلع نحوه من الطرف الاخر للممر ، كان عليهما ان يشقا طريقهما بصعوبة وهما عائدين على امتداد القناة ، لكي يصلا الى الزورق حيث كان ديفيد يرغب في افراغه من حاجياتها على الفور ، لكن بيتر قالت معترضة : لكنك تعلم بأن علينا ان نعيد جميع الحاجيات الى الزورق

اذا لم يستطع الاخرين العثور على نيكولاس ، اتـــدري يادڤيد بأنه يخامرني احساس شبه مؤكد على انه قـــد اختطف وذلك لانه لم يكن ليعود ادراجه الى دبارتون ، من دون ان يترك لنا رسالة ما ويبدو بان الجو قد بدأ يتغير على نحو ملحـــوظ ، كما لو ان عاصفة تنـــذر بالهبوب .

فقال ديڤيد مؤيدا : فعلا ، لقد اصبح تيار الماء في النهر كثيرا مما كان عليه منذ حين ، وعليه فلن تتمكن ابدا من استخدام الزورق ، لذا عليك ان تشرعي وحدك بقطع الطريق حتى تصلي الى نهاية القناة ، وانا واثق من انك ستجدين رفاقنا بانتظارنا هناك ، عندئذ اطلبي منهم ان يسلكوا الطريق المؤدي الى الجسر وحالما يبلغونه ، عليهم ان يجتازوه واحدا بعد واحد في منتهى الحذر خشية أن يكون هناك من يراقبهم ، اما انا فسأختبىء تحت احـــد عقود الجسر في النهاية الاخرى منه لكي استقبلهم عندما يصلون ومن ثم اقودهم الى الكهف ، سأبقى بأنتظاركم تحت عقد الجسر مدة نصف ساعة واذا لم يظهر أثر لكم.

فسأعود الى هنا ثانية ، وعليك انت الاخرى ان تعودي الى هنا لكي نقرر ما ينبغي علينا عمله حينئذ .

وبعد مرور خمس دقائق على هذا الحديث كانت بيتر تختبيء في مكان خفي بالقرب من النهر بحيث يمكنها أن تشرف منه على المسلك الواقع ما بين الممر والطريق الرئيس وفي مدة الصمت التام المخيم على المكان والمنذر بقيام العاصفة ، تناهى الى سمعها اصوات أصدقائها فصاحت بعلو صوتها : ان هذا لمدهش حقا ، لانكم عدتم بنيكولاس معكم . فقد كان نيكولاس بالنسبة لرفاقه الاخرين أثمن بكثير من عقد الماس الذي يبحثون عنه . ثم استطردت تملي عليهم ما سيفعلونه ، وفور انتهائها من اطلاعهم على الطريقة التي سيسلكونها لكي يبلغوا الكهف ، بادر توم من دون تردد الى نقل المتاع من الزورق الى الكهف بمعاونة بقية الاصدقاء ، وقد سبقتهم بيتر الى الزورق وجلست فيه برهة ، وفجأة أحست بحركة على الضفة المقابلة من النهر فنظرت الى ذلك الاتجاه فوقع نظرها على فتاة ترتدي سروالا وردي اللون ، تختبيء خلف شجرة تراقب المسلك

المؤدي الى الجسر ، فأدركت بيتر بأن هذه الفتاة قد تبعت رفاقها منذ خروجهم من القرية حتى هذا المكان ، وهي الآن قد عرفت بانهم لم يغادروا الممر فعلا كما كانـوا يحاولون ايهام اعدائهم او كما اكد ديفيد لبلاندش وهو يحادثه هذا الصباح عن حتمية رحيلهم ، فتساءلت بيتر مع نفسها عما عساها ان تفعل الآن ، وقد حل المـأزق نفسه بنفسه ، حيث هطلت اولى قطرات المطر ، فأدركت بيتر ان العاصفة التي كانوا يتوقعون حدوثها قـد جاء اوانها اخيرا ، على اثر ذلك خرجت (مارلين) من مكمنها والقت نظرة اخيرة على الجسر ثم ركضت راجعة بأسرع ما يمكنها نحو القناة ، فيما شق السماء الداكنة لمعـان برق هائل يتبعه هدير الرعد . وكان اول ما خامرهـا للقيام به هو تحذير رفاقها على الفور ، لكن ذلك لـم يكن بالامر الميسور ، لانها لم تكن تعرف الطريق التي سلكها ديفيد منذ ربع ساعة مضت لكي تسلكه وتصل الى الآخرين ، وبينما هي في حيرتها دوى صوت الرعـد هادرا تلاه سقوط مطر غزير ، وعندما اوشكت ان تطلق ساقيها للريح لتبحث عن رفاقهـا اذ بهـم يفاجئونهـا

ويتحلقون حولها جميعا ، فراحت تقص عليهم ما رأته قبل قليل • ولدى سماعهم بأن الفتاة التي تدعى (مارلين) كانت تتجسس عليهم ؛ اعترفوا لبيتر بأنهم في غمرة انفعالهم ونشوتهم بسبب نجاحهم في انقاذ نيكولاس لم يعيروا انتباها فيما اذا كان احد ما يتبعهم • لكن هذا الحدث لم يعقهم عن المضي في طريقهم حتى وصلوا الى الكهف ، فأمضوا هنالك نصف ساعة تقريبا في تنظيم وترتيب متاعهم الذي حملوه معهم ، ولما فرغوا من ذلك اطلعهم ديفيد على النهاية الضيقة للكهف والتي لاتسمح الا بمرور شخص واحد بعد ان يحشر نفسه خلالها ، على ان تتم زحزحة الحجر الكبير عند المدخل جزئيا ؛ لكنه استدرك قائلا : لكننا لا ننوي ان نزيحها ولو قليلا . لانها تتحكم بأنسياب الماء الى داخل الكهف ، اما الان فقد حان الوقت لكي يقوم احدنا بتتبع مجرى الماء الى الاعلى لكي نستمر بمتابعة ما يفعله الرجلان عند البئر ، فأنا اعتقد انهما ما يزالان يستخدمان الدلاء لافراغ مياهها ، ذلك لان كمية كبيرة من المياه الموحلة تنهال من

الاعلى ، واذا شئتم فأنني مستعد لان اذهب واتحرى عما يفعلانه هناك .

لكن توم وجيني اقترحا الذهاب الى هناك بدلا منه، وعليه فقد قام ديفيد بوصف المسلك الذي ينبغي عليهما ان يسلكاه وهما يتتبعان اثر المجرى المائي الى الاعلى، حتى يصلا حافة الغابة ، كما اوصاهما بأن يأخذا حذرهما خشية وقوعهما في الاخدود الضيق الواقع اعلى الكهف، ثم اختتم كلامه قائلا : عليكما ان تعودا بأسرع ما يمكن لكي تعلمونا بما ستشاهدانه ، دون ان تدعا احدا يلحظ وجودكما ، وعلى الرغم من انكما لن تتمكنا من سماع ما يقوله الرجلان وانتما في مكانكما عند حافة الغابة الا انه يكفينا مجرد معرفة ما يفعلانه .

حالما توقف المطر عن الهطول ، خرج توم وبصحبته جيني لاداء مهمتهما في مراقبة ما يفعله الرجلان عند البئر .

ولما بلغا حافة الغابة اختبأ كل منهما خلف شجرة ، بحيث يتمكنان من مشاهدة كل ما يحدث عند البئر .

وكان اول ما لاحظاه ، هو انه كان يوجد الآن اربعة رجال عند البئر • فهمست جيني لتوم : ان احد اولئك الرجال الاربعة هو الفتى (سيد) الذي يبدو انه قد وافاهم هنا على دراجته لكي يخبرهم محذرا من اننا قد تمكنا من اطلاق سراح نيكولاس ، كما اننا اصبحنا نعرف من يكون الرجلان الاخران ، ولكن ترى من يكون ذاك الشخص الرابع الذي يقوم بضخ الماء مع سيد ؟

ـ : انه مراقب العمال ، وبما انه يساعدهم ، فقد اصبح الآن من افراد عصابتهم • وفجأة تحلق الرجال الاربعة حول البئر دقائق معدودة ، ولما افترقوا من حوله لاحظ كل من توم وجيني بان الرجل المسن ذا البدلة البنية قد جلس في الدلو الكبير وهو يدلي بساقيه خارجه • فقال توم : يبدو انهم يريدون انزاله الى اسفل البئر لذا يجب علينا ان نخبر الآخرين عن هذا الامر فورا •

فأيدت جيني كلامه وقالت : دعني أعد فأخبرهم انا بذلك ، اما انت فانتظرهم هنا ريثما يلحقون ، واعتقد

بأن عليّ ان ابقى لحراسة الكهف اذا ما قرر التوأمان ديفيد ونيكولاس المجيء الى هنا ... لذا اريدك ان تعدني ياتوم بانك ستلحق بي الى الكهف وتبقى معي حالما يجيء الاصدقاء اليك ، لانني لا اريد ان ابقى وحدي لحراسته .

كان آخر شيء يود توم القيام به هو حراسة الكهف مع جيني ، ذلك لانه كانت لديه رغبة ملحة في البقاء حيث هو والاستمرار في مراقبة اولئك الرجال الذين أرهقهم العمل في استخراج الماء من البئر ، فربماكانوا يوشكون ان يعثروا على دليل مهم يساعد في حل لغز عقد الماس المفقود ، لكنه كبت رغبته تلك وقال : حسنا يا جيني اعدك بأنني سالحق بك الى الكهف لاننا نحتاج فعلا لاكثر من حارس واحد هناك ، والآن اسرعي بالذهاب ، وارسال الآخرين الى هنا ، وعليك ان تلازمي الحذر .

بعد مضي عشر دقائق على ذهاب جيني ، وصل الاصدقاء الآخرون الى حافة الغابة وهم يلهثون ومنفعلون فأمرهم ديفيد بالاختباء خلف احد الحواجز،

ومن ثم راحوا ينصتون بآذان صاغية الى ما راح يقصه عليهم توم ، فلما فرغ من اخبارهم عن كل ما شاهـــده هو وجيني ، أختتم حديثه قائلا : وما يزال ذلك الرجل المسن في داخل البئر حتى الآن ، أتعرفون بأنني لا يمكن لي ان اتصور نفسي هابطا الى قاع البئر وانا اجلـــس على ذلك الدلو ، اما الرجل ذو وجه الفطيرة فهو مكلف بتشغيل الرقعة ، فيما يقوم كل من سيد ومراقب العمال بتشغيل المضخة .

فأيده ديفيد قائلا : انهم حقا ما يزالون يستخرجون الماء من البئر وباعتقادي فأن هناك كميات كبيرة من المياه تجري الآن عبر الكهف ، هل لديك مانع يا تـــوم اذا ماعدت الى الكهف لتبقى مع جيني ؟ على الرغم من انني واثق من ان لا احد يمكنه العثور على كهفنا ، الا انني لا أود ان يبقى هناك اي منا وحده ، كما اننا سنلحق بكما حال حصولنا على اية معلومات ذات اهمية : ولكن اذا ما أكتشفوا وجودنا هنا فعلينا حينئذ ان تتوزع في جميع الاتجاهات ومن ثم نعود ادراجنا الى الكهف من

دون ان يثنينا هذا عن عزمنا في الاستمرار في هـذه المغامرة •

اما اذا لم نعد اليكما في غضون ساعة من الزمن فعلى احدكما ان يحضر الى هنا لكـي يتعرف على مجريـات الامور •

ولمـا تركهم توم وانصرف متوجها نحو الكهف ، قام ديفيد بتجميع بقية الاصدقاء حوله ، ولكن قبل ان يتمكن من التفوه بكلمة ، اطلقت ميري فجأة صوتـا حادا وهي تقول : ان هناك من يركض فـوق التل ، انظروا انها الفتاة ذات السروال الوردي التي لاحقتنا من القرية •

وقد كانت تلك الفتاة هي فعلا (مارلين) وعلى الرغم من انهم لم يتمكنوا من سماع ما كانت تقوله للرجال حول البئر ، عندما وصلت اليهم الا انه لم يكـن مـن الصعب عليهم البتة تخمين مضمونه •

فهمست بيتر بغضب : لقـد فعلتها بنا ، أنظروا كيف أنهم قـد قاموا بسحب الرجل المسن الى أعلـى

البئر ، وكيف يبدو عليه كما لو أنه قد جن بفعل مـا سمعه من أخبار .

ثم مكثت بيتر ورفاقها يراقبون ما كان يحدث عنـد البئر فشاهدوا كيف تجمع الرجال حول مارلين ، في حين راحت هي تقص عليهم القصة ثانية .

وطوال ذلك الوقت كانت مجموعة (لون ياينرز) ممتدين على طولهم بأستقامة على أرض الغابة المبللـة بمـاء المطر ، ثم شاهدوا الفتاة وهي تشير في الاتجاه الذي كانوا يمكثون فيه ، علـى أثـر ذلك استدار الرجال الاربعة نحو الغابة وراحوا يحدقون في المكان الذي أشارت اليه الفتاة ، فهمس ديفيـد لرفاقه قائلا : ابقـوا منبطحين على الارض ولا تتحركوا فيبدو أن الرجل المسن لم يتمكن من العثور على العقد بعـد ، لانـه لـو كان قـد وجده فعلا لمـا أعار انتباها أو أكترث بنا أين نكون الآن مختبئين ، أنظروا اليه لكي تروا حالة الهيجان التي أصبح عليها الان ، لانـه أدرك وهو داخل البئر بأن الينابيع قد ملأت البئر بالماء ثانية .

ثم شاهد أعضاء المجموعة مـــن مكانهم كيف أن الرجال الاربعة قـــد وثبوا من جديد لتشغيل المضخة في حين اتكأت مارلين على جدار البئر وهي ترقبهم ، وقـــد كانوا يضخون الماء بقوة كبيرة مما جعله يندفع بغزارة كما لو أنه كان يخرج مـــن فوهة أحد خراطيم المياه المستخدمة لاطفاء الحريق ، ومن ثم كان ينسكب داخـــل الخندق المحفور ، وفجأة توقف المـــاء عـــن الانسياب وعندئذ استدار الرجل ذو البدلة البنيـــة متجها الـــى فتحة البئر ، لكنه تزحلق في الطين وسقط أرضا ، فبدأ يسب ويلعن ثم نهض وقام بألقاء نظـــرة الـــى داخل البئر ، صرخ على أثرها بالرجال الآخريـــن في صوت عـــال ، وكانت صرخته مدوية بحيث أمكن لمجموعة(لون باينرز) من أن تسمعه وهو يصرخ قائلا : أستمروا بضـــخ الماء أيها الحمقى ، الا ترون كيف أن البئر بدأت تمتلىء بالماء ثانية .

فبادر الرجال بسحب الماء من جديد فأندفع بقوة مـــدة ثلاثين ثانية ، ثم توقفوا عن ضخ الماء ، وبدأوا

بالصياح بعضهم علـى بعض فأنتاب الرجل ذو البدلة البنية حالة من الهياج لا توصف ٠

وقد أدى هذا المشهد الى أن يتدحرج ديفيد على الارض وأن ينفجر ضاحكا وهو يقول : لقد نسي هذا الرجل أمرا مهما حول الآبار ، كنت قد تعلمته أنا في الفصل الدراسي الماضي ، ألا تذكرون كيف أنني خمنت بأن البئر ستعاود الامتلاء بالماء ثانية ، وهذا ما حدث الآن فعلا ٠

فهمست بيتـر قائلة : كفاك غرورا ، وقل لنـا ما الذي يحدث هناك ؟ هل تعطلت المضخة ؟

: كلا أنها تعمل جيدا ، لكن مثل هذا النوع من المضخات غير قادر على رفع الماء من أعماق بعيدة أذ لا يصلح لسحب ماء هذا البئر سوى مضخة تغمر تحـت مستوى الماء ، أذا كانوا عازمين حقا على أفراغ كل ما في البئر من ماء ٠ تعال هنا يا ماكي ! كان منظر الرجال وهم يزعقون ويتواثبون حول البئر قد أثار ما كي ، مما جعله يفلت نفسه من قبضة ميري ويبدأ بالعدو فوق

العشب مقتربا من مكان الاعداء ، وقد غاب عن ذهن ديفيد ما سبق أن حذر رفاقه من القيام به ، فصرخ من دون وعي منه وبأعلى صوته لشدة غضبه من الكلب لكي يجعله يعود أدراجه ، لكن ماكي لم يذعن لامر ديفيد ، بل راح ينبح متحديا ، مما جذب أنتباه الرجال عند البئر فوقع نظرهم عليه ، اذ كان قد أقترب منهم كثيرا ، وبلا أي تردد تناول بلاندش قضيبا حديديا وتقدم مسرعا نحو الكلب متوعدا إياه في آن واحد ، وحينما أدركت ميري مرماه قامت بالصراخ وأخذت تعدو راكضة لكي تنقذ ماكبث الذي توقف عن النباح كما لو أنه أحس بأن خطرا ما يتهدده .

وما لبث أعضاء المجموعة أن سمعوا الرجل ذا البدلة البنية ينادي على بلاندش قائلا : دعك من البئر الآن ، وأسرع لتمسك بهم جميعا ، هم وكلبهم .

الفصل الثاني عشر

« النـــار البـــاردة »

لم تكد جيني تفرغ من أخبار رفاقها عما شاهدته هي وتوم عند البئر حتى طلب منها ديفيد أن تمكث في الكهف لكي تقوم بحراسته ، ثـم أكمل قائلا : سوف أطلب من توم أن يعود الى الكهف حال لقائنا به فنحن لا نريد تركك هنا وحدك ، وفي حالة عدم حدوث شيء ذي بال عند البئر ، فأننا سنرسل التوأمين برسالة أليكما بهذا الخصوص • ثـم توجه بكلامه الى ميري قائلا : عليك أن تبقي ممسكة بحبل ماكي ولا تدعيه يفلت من بين يديك ، ثم تحدث الى بيتر : ما الذي ترتئينه ؟ ترى هل ستأتين معنا أم تفضلين البقاء هنـا ؟ وكيف حال كاحلك الآن ؟

فأجابته قائلة : لقد سئمت جدا مما أعانيه جـراء هذه الاصابة في كاحلي ، ومن الآن فصاعدا لن أعيرها أي أهتمام ، لـذا فقد قررت أن أرافقكم •

وهكذا غادر الرفاق الكهف متجهين الى حافة الغابة ، تاركين جيني وحدها لحراسة الكهف • وكانت جيني قد وافقت على البقاء في الكهف على مضض ، ذلك لانها كانت تحرص أشد الحرص على ان لا يفوتها شيء من متعة الاثارة التي كانت تنتظرهم هي ورفاقها وهم يراقبون ما يفعله الرجال عند البئر • كما أنها كانت تتوجس خيفة أن يحدث لها مكروه هنا في الكهف مما سيحدو بالآخرين لان يشعروا بالندم بسبب تركهم لها وحيدة ، ومع ذلك فقد آمنت بالامر الواقع وتناولت احدى الحشيات التي يستخدمونها للنوم ووضعتها عند مدخل الكهف ، ثم جلست عليها ، واضعة مرفقيها على ركبتيها ومسندة ذقنها الى ظاهر يديها ، بينما كان المطر ما يزال يهطل والسماء كما لو أنها ستارة رمادية تمتد هابطة حتى لكأنها تكاد تلتصق بقمم الاشجار ، وبعد مرور وقت قصير تناهى الى سمع جيني صافرة توم من على بعد عدة ياردات فقفزت واقفة لملاقاته ، في حين كان يهم بالاستدارة حول أحد أركان الحجر الكبير • ثم خلع خوذة قيادة الدراجة ونفض

عنها مـاء المطر ، ووقف فوق النتوء الصخري خارج الكهف ينصت بعض الوقت ، ثم خاطب جينـي قائلا : أن النهـر يحدث ضجيجا هادرا يـا جيني وذلك لان مستوى الماء يرتفع فيه بسرعة بفعل المطر ، لا يمكنك أن تتصوري كـم أتمنى أن أعرف مـاذا يحدث الان لرفاقنا الآخرين . فقالت لـه : وأنا كذلك يا تـوم ، لم لا نذهب اليهم لنرى ما الذي يجري هناك ؟ وقبل أن يتمكن توم من أن يجيب سمعا صوت نباح ماكبث قريبا جدا منهما ، فهمس لها توم : هيا بنا ندخل الـى الكهف الآن ، اذ لا ينبغي أن يرانـا أحـد أعدائنـا ويكتشف موقعنـا الجديد .

فأصطحبها معه الى الداخل ، وعندما وصلا الى الجزء الخلفي للكهف ، حيث كان الماء الطيني يهدر عبر الفتحة الواقعة هناك ، وقد كان هديره صاخبا جـدا ، بحيث لم يعد بأمكانهما سماع ماكي وهو ينبح ثانية ، ولكنهما سمعا فجأة صوت جلبة عالية تصدر عـن أحدهم وهو يحاول أن يشق طريقه مخترقـا سيل الماء الجاف، وكان ذلك الضجيج الذي سمعاه بمنزلة تحذير

لهما لكي يأخذا حذرهما من أن شخصا ما كان في داخل الاخدود الذي يقع فوقهما مباشرة ، لذا وضع توم يده على فم (جيني) منبها اياها كي لا تتفوه بأي كلمة ومن ثم قال هامسا : أبقي ساكنة كما أنت،فان هذا الشخص الذي في الأعلى قد لا يكون أحد أصدقائنا ، وسرعان ما تأكد لهما بأن عدوهم قد تمكن مــن العثور علــى مدخل يؤدي الى مكانهم الخفي ، وذلك عندما راحــا يلصقان جسديهما بجدار الكهف محاولان تجنب الماء الموحل المتساقط عبر الفتحة ؛ فقــد سمعا صيحة نصر تصدر على بعد عدة أقدام فوقهما ، وقــد كان ذلك الصوت صادرا عن بلاندش الذي كان يهدر مناديا : تعال الى هنا يا هاري ، فقد عثرت على مــا يمكن أن يشكل مخبأ ما ، أني أرى كيف أن المجرى المائي ينساب عبر الكهف .

وفجأة حجب جسم بلاندش الضخم فتحة مدخل الكهف ، بينما كان يحاول أن يرى ما بداخله من الجزء العلوي للصخرة ، كان توم وجيني مطمئنين الى أنــه

لن يتمكن مـــن رؤيتهما ، لان المـاء المتساقط كـان يحجبهما عنــه .

ومع ذلك فقد همس لها توم قائلا : لا تقلقي يـا جيني فأنه لا يمكن أن يخطر على باله بأننا هنـا ، كما أنني لا أعتقد بأن صاحبه قد سمع صوته حينما كـان يناديه ، ولعل أصحابه الآخرين يطاردون رفاقنا الآن ، حيـث أن ديفيـد وبيتـر سـوف يستدرجانهم بعيدا عــن هنا ، ولن يمنحهم أي فرصة ، اذا ما فكروا بالاقتراب من هنا .

وهكذا ظل توم وجيني في سكون تام عدة ثوان أخرى ، لكن الفزع بــدأ ينتابهما عندما راح بلاندش يحـاول أن يزيح الصخرة مستخدما في ذلـك قضيبه الحديدي ، فأحس توم على الفور بجسامة الخطر الذي يوشك أن يداهمها ، وكان مبعث خوفه من أن وجود الصخرة الكبيرة ، كان هــو الذي يتحكم بكمية المـاء الذي ينساب الــى داخـل الكهف ، واذا مـا تمكن بلاندش من ازاحتها ، فأن ذلك يعني تدفق المـاء عبر

فتحة الكهف سيكون من الشدة بحيث يجرفهما تياره الهائل خارجا ، وعندئذ سيكتشف الاعداء وجودهما ، ومـن يـدري مـا الذي يمكن أن يحدث حينئذاك ، فأستدار نحو جيني بعـد أن حمل بيـده ثلاثا مـن الحشيات التي كانوا ينامون عليها وقال لها : هيا الى الخارج بسرعة يـا جيني ، وأحملي معك مـا يمكنك حمله مـن متاع . لان الماء سيغمر الكهف بعد قليل .

فأمتثلت جيني لما طلبه منها ، ثم أخذ بيدها وهو يسير فوق النتوء الصخري الذي كان سبيلهما الوحيد الذي يمكنهما من الابتعاد عن مخاطر تيار الماء ، وبينما همـا فوق ذلك النتوء مرت بخاطر توم فكرة أزعجته، ومجملها هو الخوف من أن يتمكن بلا ندش فعلا مـن أزاحة الصخرة الكبيرة ومن ثم الدخول الى الكهف ، وقد جعله هذا الخاطر يشد العزم على أن يعود أدراجه الى الكهف ، كي يخرج معه بعض الحاجيات الاخرى لو لا انه سمع نباح ما كبث يأتي من مكان ما تلاه صوت صفارة الاشارة المتفق عليها بين الاصدقاء ، قادمـة من الرفاق من جهة ما من الجسر ، وقد كان الضجيج المنبعث

من النهر ما يزال متواصلا على الرغم من ان المطر قد توقف عن الهطول ، فتقدم توم الى الامام واطل برأسه من خلال شبكة الشجيرات النامية اسفل النتوء الصخري فشاهد ماكي المتوسخ بالوحل وهو يهدد بنباحه شخصا ما كان يتسلق المنحدر لكي يصل الى الكهف ، وقبل ان يقرر توم ما سيفعله شاهد جيني متوجهة نحوه وهي تحاول ان تتفادى موجة من الماء الموحل ،اكتسحت على حين غرة النتوء الصخري جارفة في طريقها معظم متاعهم الذي كان في الكهف ، ثم اتجه توم ببصره الى الوراء حيث سمع صيحة الفوز وهي تنطلق من فم بلاندش الذي كان في هذا الوقت واقفا على قمة الصخرة الكبيرة عند مدخل الكهف وكان وجهه مغطى بالطين والقضيب الحديدي بين يديه ، وحال رؤيته لهما رمقهما بنظرة أزدراء مخيفة وصاح بهما : ها نحن أخيرا قد تمكنا من اخراجكما من مخبئكما ، والان ابقيا حيث انتما حتى نقرر ما سنفعله بخصوصكما ، ولكنني قبل ذلك سأقتل ذلك الكلب اللعين الذي لا يكف عن النباح • ثم خاطب هاري قائلا : اطمئن يا هاري فقد عثرت على اثنين من

اولئك الصبية ، كما انني اكتشفت مخبأهم الجديد ، قف حيث أنت وساتي انا لمساعدتك للوصول الى هنا ، وحسب ظني فأن الاخرين لابـــد من انهم سيلحقـــون قريبا بهذين الاثنين •

ولدى سماعها ذلك ، تعلقت جيني بذراع توم وقالت بوجل : يبدو اننا محاصران يا توم ، ترى اين هم رفاقنا الاخرين وما عسانا الان فاعلان ؟

وكان جواب توم لها هو مجرد قيامه بوضع اصبعه على فمه وذلك لكي يرسل صفارة الاشارة لرفاقه ، وقد فعل ذلك بصوت عال وواضح فأتاه الجواب من الاخرين على نفسه ، عندئذ قال يحدث جيني : سوف لا نبقى في مكاننا هذا بل اننا سنهبط الى الاسفل وحالما نصل الى المنطقة المشجرة فأننا سنختبيء وحينذاك لن يستطيعوا أن يمسكوا بنا ابدا ، والان تمسكي بي جيدا •

ومن ثم اخذا بالانزلاق فوق النتوء الصخري الذي كان الماء ما زال يجري عبره ، ولمـــا راحا ينزلان المنحدر شاهدا هاري يصعده زحفا وهو يتجه نحو ماكبـــث

وعندما شاهدهما صرخ صرخة تحذير وغضب لكي يسرع بلاندش بالتحرك نحوهما ، لانه خشي من هروبهما ولحاقهما ببقية الرفاق ومن ثم قيامهم باستدعاء الشرطة ، لذلك حاول الامساك بهما وحده ، لكن ماكبث قفز نحوه مانعا أياه من تحقيق مأربه ، ولما حاول التشبث باحدى الصخور انزلقت قدمه ، ففقد توازنه مما ادى الى تدحرجه الى اسفل المنحدر متبوعا باكوام من الحصى والحجارة الصغيرة وهو يصرخ يائسا في تلك الاثناء كان بقية افراد المجموعة مختبئين قرب شاطيء النهر في محاولة منهم للافلات من مطارديهم ومراوغتهم ، عندما سمعوا صفارة توم ونباح ماكبث ثم فجأة سمعت بيتر صرخة استغاثة ، رافقها سقوط جسم ثقيل الى اسفل المنحدر تتبعه كمية من الحجارة الفالتة التي هوت في النهر ، وعندما هرعت متقدمة الى الامام شاهدت هاري يتدحرج على الضفة ومن ثم يسقط في النهر وقد بدأ يصارع التيار الشديد ، فصاحت بأعلى صوتها منادية ديفيد الذي كان في حينها واقفا فوق الجسر بقولها :

اهبط من الجسر بسرعة لان الرجل يغرق . وسأسبقك انا لانقـاذه .

ثـم ألقت بنفسها في النهر وبدأت بالعوم وبعـد قليل تمكنت من الامساك بـ (هاري) الذي كان ضخم الجثة فأدركت بيتر بـأن الفرصة الوحيدة لانقـاذه . تكمـن في محاولة سحبه الى ضفة النهر . وفعلا راحت محاولة دفعه في ذلك الاتجاه ولكنه أفلت من بين يديها وأنجرف مبتعدا عنها ، وبفعل ذلك لم يشعر بيتـر الا وهي تغطس تحت الماء ، لكنها سرعان ما أخرجت رأسها لتجد بأن هاري كان قـد أختفى فنظرت حولها لتراه على بعـد بضع ياردات أمامها ولم يبـق منـه فوق سطح الماء الا رأسه فبدأت بالعوم نحـوه ، حتـى تمكنت مـن الامساك بـه ثانية . وكان همها أن تبقى رأسه فوق سطح المـاء طوال الوقت ، فأخذت تصلي لكي يمنحها الله القوة الكافية كي تتمكن من ايصاله الـى الشاطيء بسلام قبل أن يجرفهما التيار الى ذلك الجزء مـن النهر الذي يقع تحت الجسر ، مما سينجم

عنـــه أرتطامهما بالصخور ، وحيث أن مياه النهر شديدة الضحالة هناك .

وبينما هي على هذه الحال إذ بها تسمع من يناديها بأسمها وقـــد دهشت حين رأت ديفيـــد يسبح بجانبها فهتف يحادثها بصوت أعلى مـــن هديـــر المياه قائلا : تمسكي بي يا بيتر لاننـــا نوشك أن نصل الى أسفل الجسر في غضون ثوان معدودة .

وقبل أن تتمكن بيتر مـــن القيام بما طلبه منهـــا ديفيـــد ، اذ برغوة الماء تصطخب بعنف مولدة دوامـــة مائيـــة جذبت بيتـــر معهـــا الى تحت سطح المـــاء ، فبدأت تنادي وتستغيث لكي يقوم ديفيد بأنقاذها ولكن المـــاء غمرها كلها ولـــم يعـــد يظهر لهـــا أي أثـــر ، وبينمـــا هي غاطسة تحت المـــاء ، اذ بها تحس بـــأن قدمها قـــد أصطدمت بجسم صلب فأدركت حينئـــذ بأنها لم تعـــد تسبح بل أنها تخوض في المياه الضحلة ، وفجأة أحست بيدين توضعان تحت ساعديها وترفعانها الى خارج المياه المتدفقة ولم يكن ذلك المنقذ غير ديفيد

عينه ، ولما أصبحا فوق سطح الماء وأطمأن ديفيد من أنها على خير ما يرام حدثها قائلا : على الرغم من أن هذا الرجل هاري ، لا يستحق منا أن ننقذه ، ولكن مع ذلك هل لك أن تساعديني لكي نسحبه الى شاطيء النهر .

لم تبد بيتر أي ممانعة للقيام بذلك ، بل على العكس ، فقد أبدت استعدادها المطلق . وفي أثناء ذلك كان (بيتس) مراقب العمال يهرول على امتداد الشاطيء وهو يصرخ متفوها ببعض الكلمات ، وعلى بعد غير كبير خلفه كان توم وجيني يقفان وقد شاهدا من مكانهما التوأمين ونيكولاس وهم واقفون فوق الجسر، يتابعون عملية أنقاذ هاري ، الذي تعاون كل من بيتر وديفيد على ايصاله الى الشاطيء ، وكانت بيتر أثناء قيامها بهذا العمل تشعر بالالم والاجهاد والسعادة في آن واحد ، لانها كانت تكاد لا تصدق نفسها بأنها حقا تساعد ديفيد في أنقاذ حياة شخص وسحبه وهو مغمى عليه حتى ضفة النهر .

وقد تسلمه منهما مراقب العمال الذي قام مباشرة بأجراء التنفس الاصطناعي له ، كما كان بقية

الرفاق بأنتظارهما عند ضفة النهر وقد وقفوا ينظرون بصمت الى مراقب العمال وهو يحاول أن يعيد هاري الى وعيه ، وفي أثناء ذلك وصل الى المكان كل مـن بلاندش يتبعه سيد ومارلين فبادر بلاندش بسؤال أعضاء المجموعة قائلا : لقد تدحرج من أعلى المنحدر وهوى في النهر أليس كذلك ؟ ترى من منكم الذي تمكن من اخراجه ؟ فهتف التوأمان في صوت واحد : أنها بيتر ، ثـم عقب مراقب العمال قائلا : لقد ألقت هذه الصبية الطيبة بنفسها في النهر لتلحق بـه وتنقذ حياته ثم تبعها هذا الصبي وتمكن من ابقائهما فوق سطح الماء بعد أن جرفهما الماء تحت الجسر ، أنهما حقا لصبيان رائعان ، وأنا أجد نفسي الآن بأني لم أعد قادرا على الاستمرار في الاشتراك أو التعاون معكما يـا بلاندش ، وعليك أنت الآن أن تبادر بالاعتناء بهاري •

فبدت على وجه بلاندش سمات تنم عن شعوره بالهزيمة وكان سيد يرغب بالعودة الى منزله ، أما مارلين فقـد أدارت وجهها بعيدا لكي تداري شعور الخجل

الذي انتابها ، بعـد الذي سمعته عـن شهامة أولئك الصبيـان .

ثـم قال ديفيد بعد حين : لقـد نالنا جميعا مـا يكفي من الاذى منكم ، وحالما يعود هذا الرجل الى وعيه ويستعيد عافيته ، فأني أرى أن من المستحسن أن يخبره أحدكم بأنه لم يكن الآن على قيد الحياة لو لم تنقذه بيتـر ، وكل ما يجب عليكم القيام به الآن هـو أن ترفعوا أيديكم عـن هذا الموضوع وتدعونا بسلام، وليست لكم حاجة لمن يذكركم بأن صاحبكم هذا بـه حاجة ماسة الآن لمـن ينقله الـى أحد المستشفيات ، لـذا عليكم أن تحملوه حتى تصلوا الى الطريق العام وتتصلوا هاتفيا لكي ترسـل لكـم سيارة أسعاف أو طبيب ما .

ثـم تكلمت بيتـر وهي تحاول منع أسنانها من أن تصطك قائلة : كما أننـا نرجو منكم أن لا تستمروا في لعبكم لدور المتمكن منـا ، ذلك لاننا أصبحنا الآن نعرف الكثير مـن المعلومات عنكم ، كما أنكم مهمـا

حاولتم فلن تتمكنوا أبدا من العثور عما تبحثون عنه ، وحتى أن عثرتم عليه فأنكم ستكونون حينئذ قد سرقتم شيئا لم يكن في يوم من الايام ملكا لكم ، لذا نرجو منكم الآن أن تذهبوا ولا تدعونا نرى أيا منكم ثانية بعد الآن .

ثم ابتعد أعضاء المجموعة عن المكان الذي كان فيه هاري ملقى على الارض ، فبدأ ديكي حديثه مخاطبا بيتر : لقد كنت أنت وديفيد في غاية الشجاعة وقد ترك عملكما في أنفسنا أثرا لا يمكن أن يمحى ، ذلك لأنكما قمتما بأنقاذ حياة عدوكما .

ثم وجه حديثه لديفيد : ما رأيك لو أننا قمنا الآن بالتسلق لنهاية الكهف ، لكن نجلب منه ما أمكننا حمله من متاعنا المغمور في المياه ؟

فأجابه ديفيد : لا أعتقد أنه يمكننا الاتيان بأي شيء الآن ، ومن الأفضل أن نذهب أنا وبيتر ، بعد أن نقوم بأستبدال ملابسنا الى القرية لطلب المساعدة ، وربما تمكنا من الوصول الى هناك بوساطة أحدى

السيارات المارة على الطريق العام ، وعندما نبلغ القرية فأننا سنترك لكم رسالة في بناية البريد وقــد نضطر الى المبيت في برنك وود ، لكننا سنعود الى هنا في الغد لكي نقوم بأستكشاف منطقة البئر والقيام بجولة أخرى في الأرض المحيطة بــه •

فأومأ تــوم برأسه موافقا وقــال : حسنا أبدأوا بالتحرك منــذ الآن وحظا سعيدا ، أما نحن فسوف نذهب لجلب ما أمكن من متاعنا مـــا لم يغمر بالماء ، على الرغم من أنني أرى بأن علينا أن لا نبقي أي شيء مــن حاجياتنا في الكهف فيما لو أننا أستبدلناه بمأوى آخر ، أما أذا أردنا أن نبقى في الكهف فعلينا أولا أن نعيــد ذلك الحجر الى مكانه في المدخل ، ذلك لان ما من شيء غيره يمكن أن يوقف تدفق الماء الى الكهف وحيث أنهم لم يعودوا يخشون أعداءهم فقــد أتخذوا طريقـــا مختصرا يؤدي الى الغابة ، اذ لا حاجة بعد الآن للجوء الى الاختباء والتخفي•وقد أقترح نيكولاس أن يعرجوا على البئر ، لكن توم طلب منه تأجيل هــذا الامــر حتى صباح الغــد •

وبينما هم يواصلون مسيرهم قال ديكي : لقــد تمكنا فعلا من هزيمة أعدائنا ولكننا لم نوفق مع ذلك في العثور على الكنز ، هل تعلمون بأنه تساورني الآن رغبة ملحة للنزول الى داخل البئر ، وذلك بأستخدام ذلك الدلو الكبير،أذ لعلني أنجح في العثور على العقد .

وهنا أسرع نيكولاس بالقول : أنني لا أنصحك بالقيام بذلك ، وعلى أية حال فأنني أشكر لكم جميعا تعاونكم هذا معي في العثور على الكنز .

ولدى وصولهم بالقرب من الكهف ، قفزوا جميعا الى داخل الاخدود الصغير ، وبعــد تفكير قصير قال توم يخاطبهم : أعتقد أن بأمكاننا أن نعيد ذلك الحجر الى مكانه في مدخل الكهف ، اذا مــا أردنا أستخدام الكهف مأوى لنــا ، أما الآن فدعونا ندخل اليه لنرى مــا يمكننا عمله .

وقد كان عليهم الدخول عبــر المدخل الذي كان يتدفق من أعلاه تيار مائي بفعل إزاحة الحجر من أمامه، فطلب توم مــن التوأمين أن يبادرا بالدخول ومعهما

ماكي ، ثـم قـال يمازحهما : ليس عليكما أن تخشيا من أن تبتلا بالماء المتساقط فوقكما وأنتما تدخلان ، لأنكما أصلا مبتلين بمـاء المطـر •

فدخل التوأمان من دون جدال تبعهما نيكولاس وأخيرا دخل تـوم تعقبه جيني ، كان الكهف معتما ، لـذا أحتاجت جيني بعض الوقت حتى تعتاد عيناهـا على العتمة ، عندئذ رأت توم وهو يحمل عددا من علب الطعام الذي كـان قـد خبأه خلف الحجر ، فحاولت مساعدته في حمل علب الطعام ، ومـا أن خطت الـى الامام حتى أحست بأن قدمها قـد أنزلقت فوق شيء ما لم يكن نوعاً من الحصى أو مـا شابه ذلك وبحركة غريزية أنحنت الى الارض وألتقطته ولم يكن هناك ضوء كاف يمكنها من أن ترى وتعرف ما عساه يكون ذلك الشيء ولكنها تحسسته بأصابعها ، فأذا بـه شيء صلب وثمين ، فتقدمت نحو مدخل الكهف لكي تتمكن من رؤيته بوضوح أكبر فألتفت أليها توم متسائلا :

ما الذي وجدتيه يا جيني ؟ أذ يبدو بأنك تحملين شيئا أشبه بالمطاط ؟ وقـد كان الشيء الذي بين يديها

هو فعلا عبارة عن حقيبة صغيرة مربعة مطاطية أسفنجية مربوطة عند عنقها ، وكان سطحها، أخضر اللون ولزجا، فأزالت جيني بيدها بعضا مـــن تلك المادة اللزجة فبرز تحتها أشارة منقوشة باللونين الاسود والابيض ، وقد كانت تلك الحقيبة تحتوي على شيء ما داخلها ، لـــذا ما أن حاولت جيني فتحها حتى فوجئت بسقوط قطع الماس لعائلة وايت فلاور علـــى أرضية الكهف ، ولمـــا قامت جيني بألتقاطها من الارض وهي في غاية الدهشة ، إذ بنيكولاس يقترب منها وهو مأخوذ بما كانت تحتوية تلك الحقيبة المطاطية ، فقـــد كانت تضم اثنتي عشرة جوهرة متلئلئة وقد تم وصلها معـــا بسلسلة فضية ، فهمست جيني منفعلة : النار الباردة : أنها حقا كالنار الباردة ، وقـــد قامت هرييت المسكينة بأخفاءها حيث المياه تجري الى داخل الكهف ... ها هو ذا كنزك يا نيكولاس ، انها ماسات عائلة وايت فلاور التي عثرت عليها مجموعة (لـــون يا ينرز) .

الفصل الثالث عشر

« نهاية المغامرة »

لـم يكن لدى بيتـر وديفيد كلام كثير يقولانه بعضهما الى بعض ، بعد أن أفترقا عن بقيـة الاصدقاء. وقـد كانت العاصفة الهوجاء ما تزال تعصف في الافق وكانت بيتـر قـد نسيت كل شيء عن ألم كاحلها ، كما أنها تغاضت عما كانت عليه قبل قليل من أنزعاج وضيق وهي داخل ملابسها المبتلـة .

وقد شاهدا أمامها وهما يسيران كلا من بلاندش وبيتس وهما يترنحان في مشيتهما اذ كانا يحملان (هاري سينتنس) مـن أطرافه ، فطلبت بيتر مـن ديفيـد أن يتباطأ في سيره حتى يختفي الرجلان حول المنعطف عند القناة ، وهكذا فعلا ، وفيما بعـد لمح الأثنان الفتـاة الغجرية (فينيلا) قادمة نحوهما وهي تلوح لهما بيدها. ثـم كفت عن المسير ووقفت تنظر أليهما وهما يقتربان

منها ، وقــد رمقتهما بدهشة وتعجب عندما شاهدتهما وقــد أبتلت ملابسهما تماما ، ثم بادرتهما قائلة : لقــد عدنا أنــا وأهلي أدراجنا ، لذا فقد طلبت مني أمي أن أبحث عنكم وأتأكد من أن كل شيء على ما يرام ،ولكن هلا أخبرتماني عما حدث لكما ؟

فأجابها ديفيد : سوف نخبرك بكل شيء في وقته يــا فينيلا ، أما الآن فقودينا الى (روبن) و (ميرندا) •

ولكن قبل أن يبدأوا بالتحرك ، أخرجت بيتــر صفارة صغيرة كانت بحوزتها ونفخت فيها ثلاث مرات، وعلى الفــور جاءهم روبن مسرعاً • فأسرعت بيتــر تحدثــه قائلــة : أننــا بأمس الحاجه الى مساعدتكم، أذ ليس لدينا أيــة ملابس جافة ، أو أي مكان نقضي فيــه ليلتنــا •

فخاطب روبن فينيلا قائلا : هيا أسرعي وأطلبي من أمك أن تجهز لهما مايحتاجانه • ثم قادهما في الطريق الترابي بأتجاه الشارع الرئيس ومن ثــم الى كرفان عائلته ، وقد كانت الأم الغجرية (ميرندا) تنتظرهم هي

وأبنتها على سلالم الكرفان وحال وصولهم أليه أوعز روبن لزوجته بأن تهيىء بعض الملابس الجافة لبيتر ، أما هو فقــد تعهد بتهيئة ملابس ديفيد مــن عنده ، وفعلا قام بأصطحاب ديفيد معــه مبتعدين قليلا عــن الكرفان ، فراح ديفيد يجرب بعض ملابس روبن ،وفي تلك الأثناء كان يروي للرجل الغجري كل ما صادفهم من مغامرات ولما وصل في سرده للاحداث لغاية الهجوم الذي قام به أعداؤهم على الكهف ، وقبل أن يواصل حديثه تناهي إلى سمعهما صرخات وصياح انفعال ، فقال ديفيد : أعتقد أن مصدر هــذه الأصوات هــم أصدقاؤنا ، الذين لابد أنهم قــد لحقوا بنا بعــد أن قاموا بجمع بعض من حاجياتنا المتبقية في الكهف .

فنادى عليهم ديفيد بأعلى صوته : أنا قادم اليكم حــالا .

ولكن فجأة أندفع التوأمان نحوه وبدأت ميري بالكلام وهي في أشد حالات الانفعال قائلة :

لقــد أكتشفنا مخبأ الماسات يا ديفيد ، آجل آن جيني قــد عثرت عليها مخبأة في محفظة أسفنجية داخل الكهف .

ثــم أسترسل ديكي قائلا : من المحتمل أن يكون تيار الماء المتدفق قــد أدى الى جرفها معه عندما أزاح بلاندش الحجر عن مدخل الكهف .

فسألهما ديفيد : وأين هي الماسات الآن ؟

فأجاباه ، بأنها مع جيني الآن ، وفور سماعه ذلك، رافقهما وبــدأوا يعدون مسرعين حتى وصلوا الــى الكرفان حيث شاهدوا بيتر وهي ترتدي بعض ملابس ميرندا وكانت عبارة عن تنورة ملونة وبلوزة سوداء مع غطاء للرأس ، وقد كان يقف بالقرب منها كل من جيني وتوم ونيكولاس ، فتزاحم الجميع حول جيني التــي كانت تتقلد العقــد الماسي الذي عثــرت عليــه وكان نيكولاس ، أول مــن بــدأ بالكلام قائلا وهو بادي الأنفعال : إن من حق كل واحد منكم أن ينال حصته

من هذه الماسات ، لانكم أنتم من عثر عليها وأنتم من ساعدني ، ولولاكم لما كان بأمكاني العثور عليها أبدا .

فقاطعته جيني ضاحكة : لا تكن ساذجا هكذا يا نيكولاس ، لان العقد هو ملكك أنت وعمتك ، بما أنه كان قبلا يعود لكما ولعائلتكما .

ثـم خلعته وأعطته ايـاه ، فقام بدوره بأعطائه لديفيد طالبا منه أن يحتفظ بـه لديـه ، لكن ديفيد أعطاه لتوم الذي وضعه في جيب قميصه الداخلي ثـم أغلق أزراره عليه ، وبعد وقت قصير تحلق الجميع حول نـار العائلة الغجرية وهم يتناولون طعامهـم بشهيـة مفتوحة،وما أن مضت عشر دقائق حتى كف نيكولاس عـن تناول الطعام وقال كما لو أنـه تذكر شيئا كان الجميع قـد نسوه : لقـد كان مـن الواجب علينـا أن نتصل هاتفيا بوالد جيني ، أو أحد ما من ساكني (بارتون بيج) وذلك لكي يخبروا عمتي بأننا قد عثرنا على العقد الماسي .

فوافق ديفيد قائلا : أنك على حق في هذا يا نيكولاس ، فقد كان علي أن أتصل بوالــدي لكي أطمئنه الى أننا جميعا بخير وبخاصة بعـد زوال العاصفة ، ان اهلنا جميعا سيقلقون علينا اذا لم نوافهم بأخبارنا ، وقــد بدأت الآن أشعر بأننا كنــا مقصرين تجاههم ولا سيما فيمــا يتعلق بموضوع تزويدهم بأخبارنا أولا بــأول والبقاء على أتصال دائم بهم ، لذا فمن الواجب الآن أن يذهب أحدنا الى القرية للقيام بذلك وتلافي ذلك التقصير من جانبنا ، والحق يقال فأنني أكاد لا اصدق حقــا بــأن هــذه المغامرة قــد أنتهت فعلا . وهنا أستدركت جيني قائلة : ومن قال لك بأنها قد أنتهت، عليك أن تعلم بأنني لا أنوي أن أتوقف عن الخوض في مغامرات أخرى ، كما أن نيكولاس قــد أصبح بحق وبجدارة عضوا في مجموعتنا ، ونحن لن يمكننا القول بــأن هــــذه المغـامرة قــــد أنتهـــت فعـــلا ما لم نطمئن على أن كل شيء سيجري على نحو طبيعي ومــن دون أي عائق فيما يتعلق بينكولاس وعمته . ثــم خاطبت نيكولاس قائلــة : لربما ستجني اموالا

طائلة يا نيكولاس عندما تقوم ببيع هذه الماسات الى حد أنه قد يمكنك فيه اعادة ترميم المانور من جديد • فضحك نيكولاس وقال لها : شكرا لك يا جيني ولكنني وعمتي لم نفكر مطلقا في القيام بذلك • ثم خاطب رفاقه الآخرين قائلا : والآن من سيقوم بالاتصال بعمتي لاخبارها بالأنباء السعيدة ؟

فأنبرى ديكي مقترحا بأن يذهبوا جميعا الى القرية لاجراء المكالمة الهاتفية بأستثناء ديفيد وبيتر اللذين يبدوان كما لو أنهما يتخفيان عمدا بالملابس الغجرية ، لذا من الأفضل لهما البقاء حيث هما ، وأن يقوما بمعاونة ميراندا وفينيلا في غسل الصحون •

فلم يمانع ديفيد على ذلك ، بل أنه قال : حسنا أذهبوا الآن • ومن ثم قال لتوم : من الأسلم ، أن تترك الماسات معي يا توم قبل ذهابك الى القرية معهم • وعليكم أن تعودوا بأسرع ما يمكن ، ذلك لأن الظلام يوشك أن يحل في غضون ساعة من الآن على الأكثر •

فأخرج توم العقد من جيب قميصه وناوله لديفيد

الذي تسلمه منه وقام بلفه بسنديله ، بعد ذلك صحب توم رفاقه وأنطلقوا في طريقهم الى قرية (بارتون بيج) ولكنهم لم يكادوا يبدأون السير في الطريق العام المؤدي الى قرية (بارتون بيج) ، حتى التقوا بالسيد (موروتون) وهو يقود سيارته . ولما رآهم أوقف السيارة فأندفع التوأمان نحـــوه وأخرجاه من خلف مقـــود السيارة . وأندفعت الكلمات متدفقة من فم ميري وهي تقول :

لقـــد كنا تواً في طريقنا الى القرية لكي نتصل بكم هاتفيا وأخباركم بأروع خبر على الأطلاق ، بعـــد ذلك سارت الأحداث بسرعة فائقة ، فبينما كان السيد (موروتون) يجلس مع أعضاء مجموعة (لون باينرز) حول نار العائلة الغجرية ، كان في الوقت نفسه يصغي بأهتمام الى القصة الكاملة لمغامرة المجموعة ثـــم أروه ماسات عائلة (وايت فلاور) وبعد أن أكتفى بما سمع وشاهد قال لهم : والآن علي أن أعيدكم الى منازلكم ولكن قبل ذلك أنتظروني هنـــا بعض الوقت حتى أعود اليكم ثانية ، حيث سأذهب بدلا منكم الى القرية لكي أتصل بالسيد (هارمن) وأطلب منـــه أن يأتي بسيارته

الى هنـا ، لذا عليكم أن تبدأوا منذ الآن بحزم جميع حاجياتكم، لأننا سنغادر هذا المكان قريبا، ولكنني بعد أن أجري المكالمة الهاتفية أو أن أقـوم بزيارة خـان الجوسـين •

وحالما توجه السيد (مورتن) الى القرية بادر كل من توم وديفيد بمساعدة نيكولاس في حزم متاعهـم، بينما أصطحبت فينيلا الفتيات معها الى دلخل الكرفان•

ولم يمض وقت طويل حتى عاد السيد (مورتن) كان يبـدو على محياه الغضب الشديد ولكنه تحدث أليهم قائلا : لقـد انتهت هـذه المغامرة وعليكم الآن أن تعودوا أدراجكم حيث ينبغي أن تناموا هذه الليلة في أسرتكم ، وبأمكان بيتر أن تمكث معنا ولكننا سأخذ العقد الماسي الى عمة نيكولاس ، وقـد وعدني السيد (هارمن) بانـه سيذهب اليهـا ليخبرها بأنكم قـد عثرتم على العقد ومـن ثم يأتي الـى هنا لكي يعود بجيني وتوم وأي واحد آخر منكم تتسع لـه سيارته•

ثم سألته أبنته ميري عما كان عليه مصير الأشرار وهل تمكن أن يعرف ماذا حل بهم ؟ فأجابها قائلا : لقد نقلوا سينتنس الى المستشفى في عربة سيارة الاسعاف، وقد سمعت في القرية بعض الاخبار المتناثرة هنا وهناك تقول بأنه سيغادر المستشفى سريعا ، أما الآن فهيا بنا لنضع حاجياتكم في صندوق السيارة وأستعدوا للمغادرة في غضون دقائق معدودة ، وأني أعدكم بأن أخبركم بكل ما علمت بـه قبل أن تذهبوا الى النـوم الليلة ، هو ذا السيد (هارمن) قد حضر .

فأسرعت جيني نحو والدها وأحاطت عنقه بذراعيها وهي تقول : لقد عثرنا حقا على الماسات يا أبي ، وقد وجدتها أنا نفسي ، هل قمت بأخبار عمة نيكولاس بذلك ؟ أذ علينا أن نسلمها لها الليلة ، هيا يا ديفيد أخرج الماسات لكي يشاهدها والدي من فضلك . فقال السيد (هارمن) وهو يمسك العقد بيده : أنها حقا لرائعة ، وأني لم أصدق في البدء بصحة وجودها . ثم توجه بكلامه الى العائلة الغجرية شاكرا لهم ما أبدوه من مساعدة للصبيان . بعدئذ طمأن

نيكولاس الى أنه ذهب وأخبر عمته بالنبأ المفرح ونقل لـه رغبتها في أن يعـود نيكولاس الى المنزل فورا .

بعد مضي ربع ساعة تقريبا على مجيء السيد (هارمن) كان الجميع قـد استعدوا للمغادرة فتوجهوا بشكرهم الى العائلة الغجرية ثـم ودعوا أفرادها بحرارة بالغة .

وقـد كان هنالك مجال واسع في سيارة السـيد مورتن لوضع معظم الحاجيات فيها ، كما صعد كل من ديفيـد وبيتر في الجزء الخلفي منها ، أما نيكولاس فقد جلس في المقدمة ، وقد كان المساء بهيجا بعد زوال العاصفة والألق الاخير للشمس الموشكة ان تغرب ما يزال يلوح من جهـة الغرب عنـد الافق ، وقـد تطرزت السماء بالنجوم ، وبينما كانت السيارة منطلقـة في طريقهـا .

أنزلت بيتـر زجاج نافذتها فتنسم الجميع العبق الطيب لرائحة الارض التي بللها المطر ، وكان السيد مورتـن يصفر وهو يقود سيارته ، وبعد أن سارت بهم عشـر دقائق وبينما هم يجتازون (لودلو) أنتابت بيتر أغفاءة نوم فمال رأسها وأستقر على كتف ديفيـد .

وعندما وصلت السيارتان بالقرب من باب كوخ نيكولاس ، فتح الباب وخرجت منـــه عمة نيكولاس مرحبة بهم ، وكانت تقف خلفها مباشرة عمة بيتر التـــي جاءت لزيارتها مـــن البوابات السبع ، فدخل الجميع الى الكوخ ولما لم يكن هنالك ما يكفي مـــن المقاعد ليجلسوا عليها جميعا ، فقد جلس الكبار على ما توفر منها فيما أقتعد الارض أفراد مجموعة (لون باينرز) وبـــدأوا يتنالون أقداح الكاكاو والشوكلاتة التـــي كانت قـــد أعدتها لهم السيدة (كويك سيد) •

ثم أقترح السيد(مورتن)أن يقص عليهم نيكولاس القصة كاملة ، ثـــم يقوم هو بعدها بالتحدث عن كل ما سمعه من عائلة بلاندش •

وقـــد بدا نيكولاس الآن صبيا مختلفا عن ذلك الفتى الذي كان يلصق وجهه بنافذة متجـــر السيـــد (هارمن) قبل عـــدة أيام ، فقد وقف بالقرب من مقعد عمته وهو ثابت الجنان ولما طالبه ديكي بالبدء في قص الحكاية . فقد أكتفى بأن قال في مرح : سأقص عليكم

كل ما حدث وما أتذكره من احداث وبأمكان عمتي مارجريت فقط وليس التوأم أن تقاطعني فيما أذا أستعصى عليها فهم بعض ما سأذكره وعلى الرغم من أننا قد روينا الحكاية من قبل للسيد مورتن ، الا أنه قد يكون ما يزال هناك العديد من الامور التي أكتنفت مغامرتنا والتي قد يكون السيد مورتن ما يزال على غير علم بها .

فضحك السيد مورتن وطلب من نيكولاس أن يسرع في سرد الحكاية لأن الوقت قد تأخر وأن عليهم أن يقطعوا مسافة طويلة في طريق العودة الى منازلهم . وهنا بدأ نيكولاس بسرد أحداث مغامرتهم على نحو مشوق ، ولكنه كان حريصا بعدم ذكر المواقف التي تعرضوا فيها لخطر حقيقي ، وقد كانت بيتر وجيني تقاطعانه لانهما أرادتها أن تحكيا كيف قابلتا (سيد) و (مارلين) وكيف أنهما خدعتا وزجتا داخل المطحنة المهدمة ثم تناول ديفيد أطراف الحديث وتكلم عن البئر والكهف وكيف أن بلاندش كان ذا فائدة جمة لهم من حيث لا يدري . فقد ساعدهم في العثور

على الماسات عندما قام بأزحة الحجر الكبير متسبباً في أغراق الكهف بالماء ، وأختتم حديثه بأن طلب من جيني أن تعطي الماسات لعمة نيكولاس •

فقامت جيني بفك المنديل الذي كـان يحتوي الماسات وأخرجتها منـه ، ثم قدمتها الى عمة نيكولاس التي تناولتها منهـا شاكرة ويدها ترتعش مـن شدة الانفعال والغبطة • وبعد أن تمالكت نفسها ومسحت دموع الفرح من عينيها ، شكرت الجميع قائلة : لقـد كنتم حقا أصدقاء رائعين لنيكولاس وخير عون ونصير لـه . ثم توجهت بحديثها الى السيد (مورتن) وطلبت منه أن يقص عليهم مالديه مـن معلومات عن سينتنس وبلاندش •

فنزل عند طلبها وقال : كل ما يمكنني قوله هـو أنني عندما بلغت خان الجرسين شاهدت عربة أسعاف عند بوابته وفي داخلها سينتنس راقدا وقبل أن يغلق رفاقه بابها لتنطلق رجوتهم أن يسمحوا لي بالكلام معه مـدة وجيـزة • فسمحوا لي بذلك . فأخذت أخبره

كيف أن بيتـــر وديفيد قد جازفا بحياتهما لكي ينقذاه من الموت وكيف أن أعضاء مجموعة لون باينرز قــد عثروا على ماسات عائلة وايت فلاور التي كانت مخبأة عند المدخل المؤدي الى أحد الكهوف حيث ينساب الى داخله مجرى مائي ، ولدى سماعه هــذا النبأ أخــذ يلعن نفسه وأعترف بأنه كان غالبا مــا يلتقي بهربيت براون هناك • وعند هذا الحد تركته وأستدرت لكي أدخل الى الخان ، فحاولت السيدة بلاندش أن تصفق الباب بوجهي ، لكنني تمكنت مــن الدخول قبل أن تفعل ذلك ، وفي الداخل رأيت مــيد وصديقته وقــد أطلعتني عائلة بلاندش علــى عزمها لمغادرة الخان في غضون بضعة أيام بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم • كما تذمروا من الاذى الكبير الذي نالهم مــن جراء معاونتهم لسينتنس الذي أخبروني أنه قرر بدوره أن يعود أدراجه الى أستراليا ، وهذا هو كل ما لدي من معلومات عــن أولئك الاشرار ، أما الآن فدعونا نتهيأ للانطلاق يا مجموعة (لون باينرز) •

كـــان السيد هارمن قـــد أنطلق بسيارته قبـــل السيد (مورتن) مصطحبا معه جيني وتوم الذي كان يود الذهاب الى مكتب البريد لكي يتصل بعمه هاتفيا، وفي الطريق قال السيد هارمن لتوم : أنك دائما على الرحب والسعة في بيتنا يـــا توم وأنا أرجوك أن تعود الينـــا بأسرع وقت ممكن ، كما أن من المحتمل أن تأتي جيني لزيارتكم لبضعة أيام عندما تبدأون بالحصاد .

وحالما وصل السيد هارمن بسيارته الى منزله خرجت زوجته لاستقبالهم ، وقـــد رحبت بعودتهم كما أبدت أعجابها بجيني التي تمكنت من العثور على الماسات ، ثم رافقت زوجها الى الداخل في حين جلس توم وجيني على درج المنزل تحت ضوء القمر ، وقد كانا على درجة كبيرة من الارهاق بحيث لم يتمكنا من التحدث بعضهما الى بعض طويلا ، وبينما هما في جلستهما وقفت أمامهما سيارة السيد (مورتن) فشـــاهدا بيتـــر وقد مالت بجسدها من خلال النافذة المفتوحة وهي تنادي تـــوم لكي يركب معهم في مقعد السيارة الخلفي ، ثـــم ودعت

جيني قائلـــة : اذهبي غـــدا لزيارة نيكولاس وعمته وسنتصل بك أنا وبقية الأصدقاء ، اذا ما نوينا العودة إلى البوابات السبع ثانية .

فقالت جيني : أبقوا على أتصال بي على أية حال، لانني أريد أن أعرف ما ستفعلونه في الايام القادمة ، كما أنه من المحتمل أن أذهب للاقامة مع توم في منزل السيد والسيدة أنكلز .

ثم تقـــدم توم مـــن سيـــارة السيـــد مورتن وفتح بابها الخلفي ودس نفسه في جزئها الخلفي وقال مخاطبا جيني : لا تنسي أن تأتي لزيارتنا يـــا جيني ، لان منزل عمي يكون مقفرا وكئيبا من دونك .

ثـــم أدار السيد مورتن سيارته وأنطلق بها بينما وقفت جيني في وسط الطريق وهي تلوح بيدها فـــي سعادة الى توم الذي كان قـــد أخرج قسماً من جسمه خارج النافذة وهو يلوح لها أيضاً ويناديها بصوت عال قائلا : تعالي إلينـــا سريعا .

وعندما بدأت الأنوار الخلفية للسيارة تتلاشى ، تناهى الى سمعها بوضوح صفارة البويت فأدركت بأن توم هو الذي أصدرها ، لأنه الوحيد من بـــين جميع مـــن تعرفهم ، يستطيع أن يصفر هكذا .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
٢٢١ لسنة ١٩٩١

دار الحرية للطباعة ـــ بغداد
١٤١١ هـ ـــ ١٩٩١ م

وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
قسم النشر

السعر : دينار واحد

دار الحرية للطباعة
بغداد